سلسلة الأفكار



تعريب محمد أبو خضور

كومونة باريس

تراثها الثوري وأهميتها التاريخية

دار دمشق

سلسلة الأفكار

كومونة باريس

تراثها الثوري وأهميتها التاريخية

تعريب محمد أبو خضور

دار دمشق

العنوان بالأصل

« The Historic Significance of the Paris Commune »

ثلاث مقالات نشرت بمناسبة الذكرى المئوية لكومونة باريس ،
في مجلة العلوم السوفياتية ــ العدد الثاني ١٩٧١

التراث الثوري لكومونة باريس والعصر الراهن

بقلم ب. بونوماريوف

إن للتاريخ ساعات من الضياء هي أشبه بالذرى الشاهقة التي تفتح آفاقاً جديدة لكل التطور المقبل للمجتمع . وكانت أكثر هذه الذرى مهابة هي أيام تشرين العشرة التي هزت العالم . كما ان الاسابيع العشرة لكومونة باريس تحتل مكانا مشرفا في المرتبة الثورية ذاتها .

ان المبادرة التاريخية للناس الذين تجاسروا منذ مئة عام على اطلاق التحدي ضد العالم القديم عزيزة جداً على الطبقة العاملة وجميع عمال الاتحاد السوفياتي ، الذين تعلموا بتجربتهم الخاصة مدى البهجة ومقدار الصعوبة اللتين يمنحهما النضال من اجل الاشتراكية والذين يواصلون اليوم انتهاج الطرق البكر لبناء الشيوعية . العديد من شوارع وساحات ومدن وسفن بلادنا تحمل اسم كومونة باريس . وفي هذه القاعة توجد راية الفوج السابع والستين لكومونة باريس ، هذه الراية التي أهداها الشيوعيون الفرنسيون لعمال الاتحاد السوفياتي . كل هذا يرمز ، بصورة ما ، الى تعلقنا بأفكار رجال الكومونة وعملهم . ان الطبقة العاملة في بلاد اوكتوبر هي التي تناولت راية الكفاح منهم في النضال البروليتاري الثوري .

لقد استوعبت الطبقة العاملة السوفياتية ، تحت قيادة حزب لبنين ، تجربة الكومونة ، وبذلت كل مافي وسعها لأجل بعث الاحلام الكبرى والأفكار العظيمة التي قاتل من أجلها رجال الكومونة .

ان العديد من قدامى مناضلي الكومونة قد عاشوا في بلادنا محاطين باحترام الجميع . وقد افتتحت في موسكو دار خاصة لرجال الكومونة ، وذلك في شارع أوبوخ . وآخر رجال الكومونة ، وهو أندريان لوجون ، قد توفي في الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٤٢.

ونحن لا نكتفي اليوم بمجرد اجلال البطولة الطبقية لرجال كومونة باريس وتضحياتهم وبسالة اندفاعهم الثوري ونبل اهدافهم . واذا كنا نمجد المأثرة الخالدة التي قام بها مقاتلو الكومونة ، فذلك لأننا نعتبر هذه المأثرة ، قبل كل شيء ، أول محاولة في التاريخ لتدمير نظام الاستثمار الراسمالي الذي كان يصفه رجال الكومونة بأنه « آخر شكل من اشكال الاستعباد » .

والكومونة بالنسبة الينا ليست ماضيا بعيداً . إذ اننا مازلنا حتى اليوم نستعيد رؤية الاحداث التي ارتبطت بالكومونة ، وكأننا قد شهدناها واشتركنا فيها . وهذا شيء مفهوم : افلم تكن الكومونة أول من شرع في حل القضايا التي تشكل محتوى عصرنا ، عصر التحويل الثوري للعالم ؟

ايها الرفاق !

في ١٨ آذار عام ١٩٧٨ رفعت الراية الحمراء ، رمز جمهورية العمل ، على دار بلدية باريس ، في قلب اوروبا . ولدى رؤية هذه الراية ، اخذ العالم القديم كله ، كما قال ماركس « يتلوى بتشنجات

مؤلمة » . ولأول مرة كانت السلطة تنتقل الى أيدي العمال ، وانشئت حكومة لديكتاتورية البروليتاريا . وفي ٢٨ أيار من العام ذاته ، بعد الظهر ، سقط آخر حاجز اقامه رجال الكومونة . ويفصل مابين هذين التاريخين اثنان وسبعون يوما . تلك هي المهلة التي منحها التاريخ لكومونة باريس ، أول حكم عمالي . وقد تبدو هذه المدة لحظة قصيرة ، على مد عصور تطور المجتمع . ومع ذلك ، فان هذه الايام الاثنين والسبعين قد ساوت ، من حيث اهميتها التاريخية عشرات السنين من التطور الهادىء والتدريجي.

ولنتذكر مجدداً المراحل الرئيسية للملحمة الكومونة البطولية. ففي عام ١٨٧٠ شن شارل لويس بونابرت ، ابن الأخ التافه لنابليون بونابرت ، الحرب على بروسيا ، سعيا منه الى انقاذ الامبراطورية الثانية من الاضمحلال . وبعد شهر ونصف الشهر هُزم الجيش الفرنسي واستسلم في سيدان . وسقطت فرنسا في ايدي الغزاة .

في ٤ ايلول ١٨٧٠ قام سكان باريس العاملة ، وقد سيطر عليهم السخط الشديد ، بالاطاحة بنظام الامبراطورية . ولكن في حين كان العمال يقاتلون من أجل جمهورية ديموقراطية ، كانت طغمة السياسيين البورجوازيين تضع نصب عينيها هدفاً واحداً هو الحكم . وانشئت حكومة سميت بحكومة « الدفاع الوطني » . وبسبب خوفها من الشعب الفرنسي اكثر من خوفها من الجنود البروسيين ، اصبحت بلمح البصر حكومة خيانة وطنية . وتخلت هذه الحكومة لألمانيا عن الالزاس واللورين ، كما تعهدت حكومة « الدفاع الوطني » بدفع غرامة لألمانيا مقدارها خمسة مليارات فرنك .

في هذه الساعة العصيبة التي كان يواجهها الوطن ، وتجاه الخيانة الوطنية من جانب البورجوازية ، استمرت الطبقة العاملة،

وحدها ، في الدفاع عن مصالح فرنسا بصلابة وحزم وتصميم ، ممتشقة السلاح .

وسعياً الى تحميل العمال عبء الهزيمة قررت حكومة الخيانة الوطنية التي كان يراسها في ذلك الحين تيير «هذه الزعنفة الشريرة» حسب تعبير ماركس ، نزع سلاح البروليتاريا الباريسية . ورد الباريسيون على هذا الاستفزاز بالانتفاضة . وفرت الحكومة الى فرساي . وبعد بضعة ايام ، اعلنت الكومونة في باريس .

هذه الانتفاضة للبروليتاريا الباريسية لم تكن من محض المصادفة ، بل كانت فعلاً النتيجة المنطقية لتفاقم تناقضات المجتمع الراسمالي في هذه المرحلة من تطوره ، ونتيجة لتطور النضال الطبقي للبروليتاريا الفرنسية والعالمية في ذلك العهد .

وكان على كومونة باريس أن تجابه على الفور ظروفاً قاسية الى اقصى حد . وقد استثار تيير والقوات التي ظلت موالية له الحرب الأهلية . وكان جيش بروسي جرار متمركزا خلف أسوار المدينة . وكانت باريس مفصولة عن سائر الأقاليم وتعاني صعوبات كبيرة في التموين . كل هذا زاد من خطورته التخريب الذي كان يقوم به الموظفون ، والنشاط التخريبي للجواسيس العاملين في خدمة حكومة فرساي . لكن عمال باريس الذين لم يسبق لهم مطلقاً أن تولوا اعنة الحكم أدركوا بحدسهم الثوري ما كان ينبغي القيام به . وبالاستناد الى مبادرة وارادة الجماهير ، اخذت الكومونة تعيد بحزم وتصميم تنظيم مجمل نمط الحياة الاجتماعية ، بقرارات واعمال ثورية .

انتخاب هيئات الحكم التي عليها أن تقدم حساباً عن نشاطها

لناخبيها ، الصفة العلنية للمناقشات ، امكان تسريح القضاة ، فصل الكنيسة عن الدولة ، تطبيق الطرائق الديموقراطية للادارة، تلك كانت أولى خطوات الكومونة في ميدان تنظيم الدولة .

لقد نظمت الكومونة بسرعة عمل الادارات بارسالها مخولين للسلطة الى الوزارات والادارات . ووضع حد لعمليات التخريب التي كانت تقوم بها البيروقراطية العليا ، وتم تسريح المحرضين على تلك العمليات ومنفذيها ، وجند رجال من الشعب لأجل خدمة الدولة .

وداخل مجلس الكومونة ، المؤلف ، في اكثر من ثلثه من عمال ، جرى تشكيل عشر لجان كانت تمارس السلطة التشريعية، والتنفيذية . وكانت هذه اللجان تعمل بصورة جماعية . وكان مجلس الكومونة حسب تعبير ماركس « هيئة عاملة متحدة » تعمل لمصلحة العمال ، بخلاف البرلمانات البورجوازية التي تستخدم الثرثرة فيها لاخفاء السيطرة الكلية للراسمال .

لقد الغت الكومونة الجيش القديم ، اداة السيطرة الطبقية للبورجوازية ، هذه الأداة التي ولدتها النزعة العسكرية ، واحلت محله العمال المسلحين .

والغيت الشرطة والدرك ، وكلفت بالحفاظ على النظام فصائل مسلحة من العمال .

واقرت الكومونة مراسيم لأجل تحسين ظروف العمل ، وتخفيض يوم العمل . وشرعت في مكافحة البطالة . وسلمت الى العمال والمؤسسات التي تركها مالكوها . واقيمت الرقابة العمالية في بعضها . وجرى تحسين ظروف سكن العمال . وحررت الاشياء

التي كان قد رهنها اصحابها لفرط الفقر . وفي راي ماركس . أن هذا الاتجاه بمجمله يشهد على أن « الكومونة كانت تعتزم الغاء هذه الملكية الطبقية ، التي تحول عمل الجمهور الغفير من الناس الى ثروة لأقلية من الناس . لقد كانت تهدف الى نزع ملكية من انتزعوا ملكية العمال » . كذلك مارست الكومونة تأثيراً خيراً على الحياة الثقافية والتعليم . وقد اولت أكبر العناية للقيم الفنية الوطنية ، ولرجال الثقافة . وقد كتب ماركس يقول : « ما أعظم التغير الهائل حقاً ، ذلك الذي حققته الكومونة في باريس . لم يبق هناك أدنى أثر من باريس الامبراطورية الثانية ، باريس المتفسخة المنحطة الأخلاق ... هاهي باريس جديدة ، تعمل ، وتفكر ، وتكافح ، وتنزف دماً ، ناسية تقريباً ، وهي تحضن مجتمعا جديدا ، البرابرة آكلة لحوم البشر الذين كانوا مرابطين علىأبوابها. كانت باريس مشعة ببهجة الحماسة لبادرتها التاريخية ! »

إن كومونة باريس ، التي واجهت لأول مرة المهمات الجبارة للثورة الاشتراكية ، قد ارتكبت عدداً من الاخطاء التي عجلت في هلاكها . ان عدم الداب في « نزع ملكية نازعي الملكية » (لم يستول رجال الكومونة على بنك فرنسا ، هذه الركيزة من ركائز السيطرة المالية للبورجوازية) وكرم الأخلاق المفرط ازاء العدو ، وكون رجال الكومونة قد تخلوا عن الزحف على فرساي لتوجيه ضربة الى قوى الثورة المضادة ، التي لم تكن قد أعادت تجميع صفوفها بعد ، وفقدان المبادرة لدى رجال الكومونة ، كل هذا كانت له انعكاسات مشؤومة على نتيجة المعركة .

إلا أن أخطاء ونقاط ضعف كومونة باريس ، التي ، كما قال لبنين ، لم يتح لها لا الوقت ، ولا « امكان الاستهداء الصحيح والشروع في تنفيذ برنامجها » ، هي اخطاء ونقاط ضعف طبقة

جبارة ، كانت في بداية النهوض للوقوف على قدميها ، والشروع في تحقيق مهماتها التاريخية ، ذات الاهمية العالمية ، والبحث عن طريق الاشتراكية باكتساب تجربة صعبة ، لقاء تضحيات وهزائم . ومن وجهة النظر هذه ، فان تضحيات الكومونة تعوض عنها الى حد كبير التجربة الثمينة التي خلفتها للحركة العمالية العالمية .

في ٢١ أيار ١٨٧١ اقتحم رجال فرساي باريس ، ونشبت في المدينة معارك شوارع ، ضارية . وتلبية لنداء الكومونة ، سارع الباريسيون والباريسيات الى اقامة مئات المتاريس .

وهاكم مقتطفا من رسالة وجهها حينذاك أحد العمال الى دبليسكلوز ، مندوب وزارة الحربية لدى الكومونة ، وهي رسالة تعبر عن الحالة النفسية التي كانت سائدة لدى سكان باريس « أيها المواطن ... لدى ثلاثة أبناء يخدمون الحرس الوطني . وأنا نفسي أخدم في الفوج ١٧٧ ، ولي أيضا ولد فتي ، يناهز السادسة عشرة من عمره ، وهو يرغب من صميم قلبه في الخدمة في احد الافواج ، ذلك لانه أقسم ، لي ولاخوته ، على حمل السلاح للدفاع عن جمهوريتنا الفتية ضد السفاحين رجال فرساي .

خذ آخر أولادي ، أيها المواطن ، انني أهبه ، من صميم القلب ، للجمهورية وللوطن » .

وطوال سبعة أيام بلياليها ، استمر رجال الكومونة يدافعون ببسالة وشجاعة لم يسبق لها مثيل عن كل شارع وكل بيت وكل متراس .

وقد روى معاصرون لتلك الاحداث انه كثيرا ما صمدت حفنة

قليلة من رجال الكومونة طوال ساعات لقوى العدو المتفوقة المسلحة بالمدفعية . والى جانب الرجال اجترحت نساء باريس مآثر من الشجاعة .

وشيئا فشيئا ، جرى دفع رجال الكومونة الى الجانب الشرقي من المدينة ، وفي النهاية الى مقبرة الاب لاشيز الشهيرة اليوم ، حيث جرى الفصل الاخير من المأساة الدامية .

لقد جعلت الثورة المضادة من باريس مسلخا . وكتب شهود العيان أن رجال فرساي لم يكونوا يرحمون احدا ، لا النساء ولا الاطفال ، ولا الشيوخ المسنين . وجرى اعدام الكثيرين ، حيث وجدوا ، رميا بالرصاص بدون محاكمة . ويصف المؤرخ الفرنسي دوبروي مشاهد فظيعة لبربرية رجال فرساي . وقد كتب يقول : « كان هؤلاء يقتلون في كل مكان ، في قاعات المحاكم العسكرية ، والمراكز المهنية وفي الخارج ، قرب المتاريس ، وفي الخنادق ، وتحت الجسور ، وفي المنازل ، وفي مجاري المياه ، والسراديب » .

وتتحدث عن تلك الايام الفاجعة لويز ميشال ، المناضلة في الكومونة ، والتي حكم عليها بالسجن المؤبد مع الاشغال الشاقة . فتقول : « لقد ابيد آلاف من رجال الكومونة مقابل كل شخص من رجال فرساي » . وتقول صحف باريس في تلك الايام ان مياهالسين قد احمرت من الدماء التي تدفقت فيها .

لقد سقطت الكومونة . لكن ابتهاج البورجوازية كان يشهد على قصر نظرها التاريخي. وقد قال الشاعر الفرنسي أوجين بوتييه مؤلف نشيد « الاممية » البروليتاري « لم تمت الكومونة » . وكان بوتييه على حق ، ان ذكرى الكومونة ، وافكارها ، وتجربتها ، ودروسها ، وتقاليدها ، تشكل جزءا لا يتجزا من حياة الحركة الثورية العالمية .

- ٢ -

لم تكن أصداء طلقات النار الاخيرة قد تلاشت بعد في شوارع باريس المغطاة بالدماء ، حين نشب صراع ايديولوجي ضار حـــول المعنى الذين يجب اعطاؤه للكومونة ، وحول تراثها . وكان ماركس أول من كون فكرة صحيحة عن المعنى الحقيقي لما حـدث ، وذلك وسط فيض الانباء والمعلومات المتناقضة التي كانت تتدفق منباريس المحاصرة ، وقد بين ماركس طبيعة كومونة باريس التي كان يـرى فيها أول حكومة لديكتاتورية البروليتاريا في التاريخ . وقداستخلص ماركس وانجلز من تجربة الكومونة استنتاجات جذرية بالنسبة الى الشيوعية العلمية ، وبالنسبة الى استراتيجية وتكتيك الحركـــة العمالية الثورية . وقد أعطى مؤسسا الماركسية توجيها عاما لكـي تفهم جيدا حصيلة الكومونة واهميتها التاريخية .

ومن جهة ، فان العدو الطبقي وشركاءه الطوعيين أو المكرهين كانوا يحاولون أن يشطبوا الكومونة من الحياة الواقعية ، ومـــن نضال الطبقة العاملة . وكان البعض يريد أن«يقتل الكومونةبتغطيتها تحت اكداس من الازهار » وكان آخرون يجهدون لطمسها بالنسيان وفئة ثالثة كانت تبحث في الكومونة عن تأكيد للنظريات الخاطئـــة لتلك الفئة . كانت الافتراءات تنهال على الكومونة ، ويجري تزوير تراثها . ويلزم الصمت ازاء مآثرها وانجازاتها .

وعند ملتقى القرن التاسع عشر والعشرين ، حين دخلـــت الراسمالية مرحلتها الامبريالية ، وطرحت مسألة تحقيق الثـورة الاشتراكية أصبح من الضروري تنقية تراث كومونة باريس مـــن جميع العناصر الغريبة عنها ، ووضع تجربتها في خدمة الطبقـــة

العاملة . ان لينين هو الـــذي حقق هذه المهمة . وقد أعطى في مؤلفاته تقديرا مفصلا لكومونة باريس ، ومعناها التاريخي ، ومكانها في العملية الثورية العالمية .

لقد بدأ لينين يدرس دراسة عميقة تاريخ الكومونة حين سافر اول مرة الى باريس ١٨٩٥ . ومنذ ذلك الحين ، نجد موضوعـــة الكومونة ماثلة باستمرار في نتاجه ، وهو يتحدث فيه مئات المرات عن كومونة باريس ، ونشاطها ، وعبرها . وآخر مرة عالج لينين مسألة الكومونة في اجتماع جماهيري عقـــد في بتروغراد بمناسبة مرور خمسين عاما على قيام الكومونة ، وقد أعلن قائلا في هذا الخطاب الذي عثر عليه مؤخرا : « نحن نقوم اليوم بارساء الحجر الاساسي لنصب المناضلين من أجل الشيوعية ، الذين رفعوا منذ خمسين عاما ، راية الانتفاضة في باريس ، وتولـــوا السلطة ، وشرعوا في بناء المجتمع الاشتراكي .. ان قضيتهم لم تمت . فنحن نواصـــل بنجاح بناء جمهورية السوفيات في روسيا » .

هذا الاهتمام الشديد جدا ، من جانب القائد العظيم للطبقة العاملة العالمية ، بكومونة باريس ، يفسر بواقع انه كان يعتبرهـــا بمثابة « المثال الاكبر مهابة وجبروتا لاعظم حركة بروليتارية جبارة في القرن التاسع عشر » . وبخلاف بليخانوف ، الذي لم يكن يرى في الكومونة سوى قصة من قصص الماضي ، فقد كان لينين يـــرى انه ينبغي أن يستخلص من الكومونة الدروس والعبر لاجل الحركة انعمالية المعاصرة له . وكان لينين يستخرج ، ذرة فذرة ، مـــن التجربة البطولية لمقاتلي ١٨٧١ ، كل ماله قيمة دائمة ، كـــل ما يمكن أن تستخدمه الطبقة العاملة ، بصورة خلاقة ، لاجـــل الاستيلاء على السلطة ، وبناء المجتمع الجديد الاشتراكي .

ولدى كل انعكاف هام للحركة الثورية ، كان لينين يلتفـــت

نحو الكومونة ليكتشف وجوها جديدة من تجربتها ، وليضعها في خدمة النضال العملي لحزب البلاشفة في اللحظة التاريخية المعينة. ولهذا السبب بالضبط ، أدت التقديرات اللينينية لدور الكومونة الى اغناء حقيقي لنظرية الثورة الاشتراكية وتلك التقديرات ماتزال تحتفظ حتى اليوم بحيويتها وطابعها الراهن .

ان الدرس الاول الهام الذي استخلصه لينين من تجربة كومون باريس ، بالنسبة الى الحركة العمالية ، هو أنه من الضروري أن يكون للطبقة العاملة حزب ثوري .

وقد اكد لينين على ان أحد الاسباب الرئيسية لهزيمة رجال كومونة باريس ، هو انه « لم يكن يوجد حزب عمالي » . ان بسالة العمال الباريسيين ، التي لم يسبق لها مثيل في الحقيقة ، وبطولتهم ، وتفانيهم ، لم يكن بوسعها أن تعوض عدم وجود قيادة سياسية حازمة . ولم يكن اي تيار من التيارات داخل الكومونة يشكل حزبا سياسيا . ولم يكن لدى تلك التيارات ، لاتنظيم دقيق ولا برنامج واضح . وعلى كل حال ، لم يكن في وسع تلك التيارات ان تتحد لاجل تكوين حزب بروليتاري ، ذلك لانها كانت أسيرة الاوهام البورجوازية الصغيرة ولم تكن لديها نظرية علمية . وكان اعضاء الفرع الفرنسي للأممية أقلية داخل الكومونة . وحتى هؤلاء ايضا لم يكونوا متحررين من تأثير مفاهيم **برودون وبلانكي ،** ولم تكن لديهم مواقف طبقية متينة .

وفي اخطر مراحل القتال ضد رجال فرساي ، وحين كان كل شيء ، بكل معنى الكلمة ، يتوقف على وحدة الارادة ، وعلى التنسيق وسرعة الاعمال ، فان عدم وجود حزب قائد ، وكذلك الخلافات من جهة أخرى ، كانت تجرد الكومونة من كل فعالية . ان جول اندريو ، عضو الكومونة ، يعبر عن الاعتراف بنقطة

الضعف هذه الميتة ، اذ يقول : « ان ما افتقرنا اليه حتى الآن باستمرار هو التنظيم » . وفي مؤتمر الاممية الذي عقد في لاهاي عام ١٨٧٢ اشار المشتركون في الكومونة انفسهم الى انه لو كان لدى رجال الكومونة تنظيم سياسي عمالي ، لاستطاعوا صد الغزو وتقوية مواقعهم في باريس .

ان غياب منظمة سياسية بروليتارية على نطاق البلاد بأسرها يفسر ايضا ، الى حد كبير ، نقطة ضعف اخرى لدى كومونة باريس .

ان الكومونة لم يكن في وسعها الخروج من العاصمة . لقد ظهرت حركة عفوية لمساعدة ومساندة المقاتلين الباريسيين ، في مختلف انحاء فرنسا . اذن فقد كانت ثمة تربة لاجل عمل وطني للطبقة العاملة . ولكن كان ينقص ، لاجل تحقيق ذلك ، حزب يراس الكومونة ويحشد الحركة الثورية على نطاق البلاد بأسرها. ذلك مايشكل الفرق الاساسي بين ١٨٧١ في فرنسا و ١٩١٧ في روسيا .

واليوم ليست تجربة باريس وحدها ، بل أيضا ممارسة ثورات اشتراكية ظافرة عديدة ، تثبت الاهمية التاريخية العامة لاستنتاج لينين حول ضرورة الحزب الثوري البروليتاري . وهذا الاستنتاج هو في أساس نضال الاحزاب الماركسية ـ اللينينية لاجل تعزيز صفوفها على الاصعدة : الايديولوجي والسياسي والتنظيمي .

والدرس **الثاني** المستخلص من كومونة باريس هو ضرورة ديكتاتورية البروليتاريا لاجل انتصار الثورة الاشتراكية .

وفي « بيان الحزب الشيوعي » أبرز ماركس وانجلز بوضوح الفكرة الجوهرية لمنهجهما ، وهي فكرة « التفوق السياسي » للطبقة العاملة ، وبعبارة أخرى ، ديكتاتورية البروليتاريا . والكومونة لم تؤكد فقط صحة هذه الفكرة العبقرية ، بل لقد أثبتت عمليا أنها تشكل سلطة جديدة ، على نحو يجعلها تختلف عن جميع انظمة الحكم الاخرى . وفي رأي ماركس أن الكومونة كانت « الشكل السياسي الذي تم اخيرا العثور عليه والذي يتيح تحقيق التحرير الاقتصادي للعمل » .

وفي الفترة الحرجة من تاريخ فرنسا ، كانت الطبقة العاملة بالضبط هي التي ادركت أن عليها الاضطلاع بالمسؤولية التاريخية عن مصير الوطن ، وانه ليس باستطاعتها ان تتحرر وتحرر المجتمع باسرهمن دون الاستيلاء على السلطة . وقد جاء على وجهالتدقيق ومن دون مواربة في احد الاعداد الاولى من الصحيفة الرسمية الناطقة بلسان الكومونة ، ان واجب البروليتاري هو « أن تأخذ الحكم » . كان فصل جديد ينفتح ، اذن في تطور النضال الطبقي للبروليتاريا . فلأول مرة في التاريخ العالمي ، ولدت الانتفاضة الشعبية الظافرة ، حكومة للطبقة العاملة كانت تمثل وتدافع عن مصالح الجماهير العاملة .

كان العمال يرون في الكومونة سلطتهم هم انفسهم ، وكانوا يقاتلون ويموتون من أجلها . وقد ظلوا حتى النهاية أمناء الكومونة وذلك لانهم كانوا يدركون بأن قضية الكومونة هي قضية تحرير الطبقة العاملة وجميع الشغيلة .

منذ البداية اصدمت الكومونة بضرورة حل العديد من المسائل الاقتصادية ، والسياسية ، والعسكرية ، والثقافية ،

والمالية . ولاول مرة في التاريخ ، أخذ العمال او ممثلوهم المنتخبون يحلون هذه المسائل بأنفسهم . وكان عمال بسطاء من عامة الناس، لم تكن لديهم اية تجربة في ميدان الادارة يبرهنون عن حنكة مدهشة ، كرجال دولة ، ونزاهة واستقامة مذهلتين . وقد استطاعوا أن يحلو بنجاح العديد من القضايا المعقدة . لقد ولدت السلطة العمالية ديمقراطية عميقة الى حد لم يعرف له مثيل حتى ذلك الحين . وكان ذلك انتقالا الى ديموقراطية من طراز أرفع ، الى الديمقراطية البروليتارية . لقد أيقظت الكومونة الطاقة الخلاقة التي لا ينضب معينها ، لدى الجماهير الشعبية . وكانت تستمد قوتها من مبادرتها التاريخية .

وقد كتب لينين يقول : « لقد قدمت كومونةباريس مجموعة كبيرة ، متعددة الوجوه ، من المبادرة والاستقلال وحرية الحركة ، والاندفاع الجبار القادم من تحت وكل ذلك مرتبطا بمركزية قائمة على أساس الموافقة الحرة ، الغريبة عن الروتين » . وكان لينين يرى في هذا الواقع سمة شبه هامة بين الكومونة والحكم السوفياتي .

ولاول مرة في التاريخ العالمي اثبتت كومونة باريس أن البروليتاريا قادرة على أن تتولى السلطة وأن تنشىء دولتها الخاصة وأن تقود المجتمع بنجاح .

والدرس الثالث الهام المستخلص من كومونة باريس هو ضرورة تحطيم آلة الدولة ، البورجوازية العسكرية والبيروقراطية، واستبدالها بدولة جديدة هي الدولة البروليتارية .

لقد وجهت كومونة باريس ضربة صاعقة الى هيئات العنف للحكم القديم : الجيش والشرطة والجهاز القضائي . وقد أبدلتها

بهيئات للحكم الجديد المرتبط ارتباطا مباشرا بالطبقة العاملة والشغيلة .

وقد دفعت متطلبات الحياة وصراع الطبقات ، التي لاترحم رجال الكومونة الى سلوك هذا الطريق الثوري الذي عكس المتطلبات العامة الملحة للثورة الاشتراكية . ان تدمير الجهاز العسكري والبيروقراطي القديم للطبقات المستثمرة وبناء تنظيم دولتي ديموقراطي جديد قائم على الاشتراك الفعال للشعب في التسيير، قد أصبحا اليوم مهمتي كل ثورة شعبية . وللمرة الاولى اظهرت الكومونة ما ينبغي أن يحل محل الماكنة الدولية للمخطرين التي تم تحطيمها ، وكيف ينبغي أن يكون النظام الحكومي الذي من شأنه أن يساهم في تحرير العمل من نير رأس المال .

ويمكن تكوين فكرة عن الاهمية التي أولاها لينين لمنجزات ونواقص الكومونة في عملية تدمير الآلة الدولتية البورجوازية بواقع انه انكب على هذه التجربة عشية ثورة اكتوبر الاشتراكية . وقد حلل لينين في مؤلفه الكلاسيكي « الدولة والثورة » تحليلا مفصلا التدابير الثورية التي اتخذتها الكومونة والهادفة الى تدمير جهاز العنف للحكم القديم وبناء دولة من طراز جديد . ويحق لنا أن نؤكد انه بفضل لينين والحزب الشيوعي الذي أنشأه،استوعبت البروليتاريا الروسية استيعابا كاملا وبروح مبدعة ، تجربةكومونة باريس في المسألة الحاسمة للثورة الاشتراكية ، مسألة الحكم .

ان لينين لم يعد فقط كل الاهمية التاريخية الى الموضوعة الماركسية حول تدمير آلة الدولة البورجوازية ، بل وطورها ايضا وفقا للمرحلة الاحتكارية للراسمالية . وقد أثبت انه ، الى جانب هيئات العنف ، تخلق الدولة جهاز محاسبة ومراقبة « لا يمكن

ولا ينبغي تحطيمه » ، كما قال لينين ، « بل ينبغي انتزاعه من خضوعه للراسماليين ، ينبغي قطعه ووصله وفصمه عن الرأسماليين وكل وسائل عملهم ويبغي اخضاعه للسوفياتات البروليتارية، وينبغي توسيعه ، وينبغي أن يشمل كل الحقول والبلاد بأسرها » . وفي الظروف الراهنة يرتدي ارشاد لينين هذا طابعا ذا صفة راهنة كبيرة نظرا الى ان راسمالية الدولة الاحتكارية قد اتقنت اتقانا ملحوظا جهاز محاسبة ومراقبة الانتاج الاجتماعي الذي يمكن استخدامه بعد الثورة من أجل خير العمال ، في صالح بناء الاقتصاد الاشتراكي . وفضلا عن ذلك ، فان هذا الجهاز مرتبط بحياة وعمل فئة من المستخدمين كبيرة العدد الآن ، فئة خاضعة للاستثمار ويمكن اكتساب قسم كبير منها الى قضية الطبقة العاملة .

ولكن الى جانب ذلك ، انشأت الامبريالية آلة عسكرية ضخمة وتوغلت العسكرية في كل مسام المجتمع البورجوازي . وعلى هذا الاساس ، ومع أخذ أحدث منجزات العلم والتقنية بعين الاعتبار ، فان جهاز قمع الجماهير قد تضخم تضخما خارقا . وهذا هو السبب في أن الصفة الراهنة للمهمة التي تتلخص في تدمير الآلة الدوليتة العسكرية والبوليسية التي تستند اليها سيطرة الاحتكارات ، لا تضعف ابدا ، بل على العكس فهي تتعاظم باستمرار . والدرس الرابع لكومونة باريس هو ضرورة اكتساب الطبقة العاملة وجماهير واسعة الى قضيتها .

وقد اثبتت كومونة باريس ان الثورة البروليتارية تحل ، الى جانب المسائل الاشتراكية البحته ، مسائل ديموقراطية لم تستطع الراسمالية قط أن تحلها حلا كاملا . والحال فان الامبريالية تعرض للخطر الحقوق الديموقراطية التي اكتسبت في

الماضي بل وتزيلها . وتحمل الثورة الاشتراكية التحرر ليس فقط الى الطبقة العاملة ، بل أيضا الى جميع العمال وتدافع عن مصالح كل المضطهدين . وهذا هو السبب في أن البروليتاريا حين تحقق الثورة لا تعمل لوحدها بل تعتمد على تأييد ودعم اكثرية السكان الساحقة .

وقد القى تاريخ الكومونة ضوءا على الاهمية الخارقة لتحالف الطبقة العاملة والفلاحين . وتثبت الابحاث الاخيرة ان شخصيات عديدة من شخصيات الكومونة كانت تدرك ذلك تماما . فقد وجهت من باريس المحاصرة ، نداء حارا الى الجماهير الفلاحية . وجاء في هذه الوثيقة « ان باريس تريد ، اصغ الى ذلك جيدا يا عامل الريف ، المياوم الفقير ، المالك الصغير ... ان ما تريده باريس في نهاية الامر هو الارض للفلاح والاداة للعامل والعمل للجميع » . وقد اكد لينين أن « كومونة باريس قد شقت طريقها نحو التحالف مع الفلاحين لكنها « لم تبلغ هدفها لاسباب عديدة ذات طابع داخلي وخارجي » . وكانت احدى نقاط ضعف الكومونة تكمن في واقع في أن « الاكثرية الكبرى من الفلاحين الفرنسيين لم يكونوا يعرفون » لا مغزى ولا اهداف الحكومة العمالية .

وأثبتت الكومونة عمليا امكان تحالف الطبقة العاملة مع الملاكين الصغار في المدن ، ومع الحرفيين ومع المثقفين الكادحين ، وأثبتت في الوقت ذاته الطابع الالزامي لهيمنة البروليتاريا تجاه كل هذه الفئات الاجتماعية . وقد كتب ماركس : « ... لقد اعترف صراحة بالطبقة العاملة بأنها الوحيدة التي مازالت قادرة على القيام بمبادرة اجتماعية ، حتى من قبل الجمهور الكبير للطبقة المتوسطة الباريسية ... باستثناء الاغنياء الرأسماليين » .

ان تجربة الكومونة في مسألة التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين والفئات غير البروليتارية من العمال قد استعيدت ودفعت الى درجة أعلى في النظرية وفي الممارسة العملية اللينينية. وهي تشكل سلاحا للحركة الشيوعية العالمية .

ويتلخص الدرس الخامس للكومونة في واقع أن الثورة يجب ان تعرف كيف تدافع عن نفسها . وقد كان ضعف وخطأ الكومونة انها لم تستخدم بما يكفي من العزم وسائل الحكم من اجل قمع البورجوازية المناهضة للثورة وانها اختارت خطة عمليات عسكرية تتلخص بالتريث والدفاع ، وهي خطر كانت مشؤومة عليها .

وقد سببت ضررا لا يعوض . وكان رجال فرساي يعدمون الاسرى رميا بالرصاص بلا شفقة في حين أن رجال الكومونة كانوا يوفرون حتى رجال الشرطة الذين كان يقبض عليهم في شوارع باريس وهم يحملون قنابل محرقة . وقد ذكر لينين أن البروليتاريا « اهملت اهمية الاعمال العسكرية انصرف في الحرب الاهلية ، وبدلا من ان تكلل انتصارها في باريس بهجوم حازم على فرساي ، ترثيت وأعطت لحكومة الوقت لحشد القوى الانطلاقية والاستعداد لاسبوع أيارالدامي».

ولابعاد الجماهير عن الثورة يجب الاصلاحيون والعقائديون البورجوازيون الانطلاق في مناقشة حول « ثمنها » المرتفع وحول النفقات التي تسببها ، وقد اثبت الاسبوع الاخير من الكومونة بوضوح من كان مسؤولا عن ضحايا ونفقات الثورة . ونود أن نستشهد بفصل ذي دلالة يلقي الضوء على اسباب شراسة الرجعية البورجوازية . سأل ضابط من قوات فرساي أسيرا من رجال الكومونة قائلا : « من انت ؟ » فكان جوابه باعتزاز :

« أنا عامل ، عامل بناء ، عضو في اللجنة المركزية للحرس الوطني » . وصاح الضابط : « عامل بناء ! وهو الذي كان يريد أن يحكم فرنسا ! » . وفي سورة الغضب أطلق النار على الاسير . وتحول الحقد الطبقي تجاه العمال الذين تجرأوا على المساس بالحكم الى عبث دموي . على هذا النحو انما ردت البورجوازية على انسانية ونحرم البروليتاريا .

واستخلص لينين من دروس هزيمة رجال الكومونة استنتاجا ذا اهمية مبدئية ضخمة : « ان البورجوازية مستعدة لكل شيء . اليوم : ليبراليون واريكاليون وجمهوريون ، وغدا خيانة واعدامات » . ويؤكد كل تاريخ الحركة العمالية حقيقة هذه الاقوال . فالبورجوازية لم تتردد قط عن استخدام وسائل الابادة الجسدية ضد الجماهير .

ان الجرائم الوحشية للعتدين الاميركيين في الهند الصينية والمجازر خلال مظاهرات الطلاب في الولايات المتحدة والقمع المسلح الذي ترتكبه القوات البريطانية ضد عمال ايرلندا الشمالية . كل ذلك يثبت أن ورثة رجعية فرساي على استعداد لارتكاب انه جريمة .

معرفة توجيه قوة الطبقة الثورية والرد بالعنف على عنف الرجعية واتقان الفن العسكري والنظر الى النضال المسلح نظرة جدية باعتباره فنا ، هذه هي الاستنتاجات المستخلصة من كومونة باريس والتي خلفها لينين لكل الشيوعيين ولكل الثوريين . ومن هذه الزاوية انما درس لينين باهتمام تجربة الكومونة وحلل كتاب جنرال الكومونة كلوزيري وكان صاحب المبادرة في نشر عدة مقتطفات من هذا المؤلف في صحيفة

« فبيريود » البلشفية وبعد ماركس وانجلز أجرى لينين تحليلا انتقاديا للعمليات العسكرية الرئيسية للكومونة .

وقد استخدم لينين والحزب البلشفي تجربة الكومونة واستفادا في اكتوبر ١٩١٧ من دروسها بروح مبدعة . لقد حقق البلاشفة انتفاضة اوكتوبر المسلحة بشكل نموذجي حقا .

وقد اختار الحزب بشكل سديد اللحظة الملائمة للانتفاضة وعمد بعناية الى اعدادها السياسي والعسكري والتنظيمي والايديولوجي ووضع خطة العمليات الدفاعية ونسق الى اقصى حد مهمات كل المشتركين في الانتفاضة وضمن اقيادة العملية لتطورها . ان تجربة انتفاضة اوكتوبر المسلحة هي الذخر المجيد لكل الحركة الثورية العالمية .

وبعد انتصار اوكتوبر عبأ لينين والحزب البلشفي ، بعد ان اخذ بعين الاعتبار دروس الكومونة ، قوى الثورة من أجل الدفاع عنها . لقد نظما الحرس الاحمر وبالتالي الجيش الاحمر . وفي المعارك العنيفة ضد الحرس الابيض والمتدخلين دافع هذا الجيش عن الحكم السوفياتي . ورفعت الطبقة العاملة الروسية التي قادها حزب لينين ، رفعت حتى النصر التام الراية التي كانت قد سقطت من أيدي رجال الكومونة .

ايها الرفاق ! شوهد تحقق تنبؤ ماركس وانجلز في يوم الذكرى العاشرة لكومونة باريس والقائل « سيجري في بطرسبرج البعيدة حدث سيؤدي حتما في نهاية الامر ، وربما بعد صراع طويل وقاس ، الى انشاء الكومونة الروسية » .

لقد فتحت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى عصرا جديدا

في التاريخ العالمي ودشنت بداية الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية . وقد أعطت العالم طراز حل المسائل الاجتماعية الاساسية التي كانت الكومونة أول من حاول حلها .

كتب لينين : « ان قضية الكومونة هي قضية الثورة الاجتماعية قضية التحرر السياسي والاقتصادي التام للعمال ، قضية بروليتاريا العالم . وهي بهذا المعنى خالدة » . يظهر الطابع الخالد للكومونة ، ايها الرفاق ، في أعمال الاشتراكية وفي نضال الطبقة العاملة العالمية في سبيل مستقبل اشتراكي وفي انتصارات الحركة الثورية العالمية التي تشكل طليعة الحركة الشيوعية العالمية التي تواصل عمل الكومونة .

أيها الرفاق ! أعلن تيير غداة هزيمة الكومونة معبرا عن راي البورجوازية : « لقد تخلصنا من الاشتراكية » . لكن ذلك الذي أصاب لم يكن الجلاد الدموي للكومونة ، بل رجل الكومونة غوستاف لو فرانسي الذي أعلن قبل الهزيمة بمدة : « حتى لو عرفت الكومونة الفشل ، فستنهض ذات يوم في « هالة مجدها» . ان كومونة باريس لم تختم فقط المرحلة التاريخية الاوليةللصراع بين العمل وراس المال ، بل سجلت بداية تحول البروليتاريا الى طبقة هجومية .

وأعلن الرفيق بريجنيف في الاجتماع الاحتفالي المكرس للذكرى المئوية لميلاد لينين : « ١٨٧١ اضاء افق كوكبنا أول برق للثورة البروليتارية : لقد رفعت الراية الحمراء لكومونة باريس . لقد تعرض رجال الكومونة لهزيمة ، لكن القضية التي كافحوا من أجلها لم يكن من الممكن ان تقهر » لقد تميز القرن الذي انقضى منذ كومونة باريس باتساع للحركة الثورية . ومنذ ١٨٧١

جرت ٩٥ ثورة وانتفاضة جماهيرية قوية في مختلف مناطق العالم وحتى تشرين الاول ١٩١٧ كان نصيبها الهزائم . لكن بعد الانتصار العظيم للثورة الاشتراكية في روسيا تحطمت حلقة فحلقة سلاسل العبودية الراسمالية والنير الامبريالي .

واليوم فان العالم يختلف عما كان عليه قبل ١٠٠ عام . واذا لم تكن الكومونة سوى جزيرة ملتهبة وسط المحيط الذي لانهاية له لمجتمع الاستثمار والاضطهاد فان الاشتراكية هي حقيقة واقعة اليوم . ومنذ عقود يوجد المجتمع الاشتراكي فعلا على كوكبنا .

وخلال الصراع بين النظامين تتطور نسبة القوى على الصعيد العالمي بثبات في مصلحة الاشتراكية . ومهما فعل ورثة جلادي الكومونة ومهما كدسوا جرائمهم في الهند الصينية وفي افريقيا الجنوبية وفي الشرق الاوسط وفي اسبانيا وفي اليونان وفي القلعة ذاتها للراسمالية المعاصرة ، اي في الولايات المتحدة ، فهم مضطرون الى أن يأخذوا بعين الاعتبار واقع أن قضية الكومونة لم تعد تدافع عنها فقط البنادق القديمة لرجال كومونة ١٨٧١ ، بل ان انتصارات حركة التحرر العالمية تحميها الاسرة القوية للبلدان الاشتراكية ، النظام الاشتراكي العالمي .

وفي الوقت الراهن تقوم الكومونة ، حسب تعبير ماركس « بجولة في العالم » . وفي المراكز الرئيسية للنظام الرسمالي فان المقدمات الموضوعية للانتقال الى الاشتراكية قد توفرت منذ زمن بعيد . وقد قال لينين بأن « عصر الراسمالية هو عصر بلغت فيه الراسمالية وتخطت نضوجها » . وفي ايامنا فان الظروف الدولية للنضال في سبيل الاشتراكية على النطاق

العالمي هي اكثر ملاءمة بكثير لان البروليتاريا العالمية تحوز حاليا قوة يمثل جبروت الاسرة الاشتراكية العالميــة . وفي المساحات الشاسعة للعالم الاستعماري القديم تهب الشعوب بعزم متزايــد ضد الامبريالية وترى بوضوح أكثر فأكثر ان استقلالها الوطني وتقدمها الاجتماعي وكل مستقبلها مرتبطة بالاشتراكية . وقــد سبق أن سلكت عدة دول متحررة الطريق غير الرأسمالي . ان النزاع المستعصي بين الامبريالية ومصالح اكثرية الانسانيــة الساحقة يتفاقم حتما .

وقد شهدت الطبقة العاملة ، الخصم الرئيسي للرأسمالية نهوضا جبارا منذ كومونة باريس . فقبل مئة عام لم تكن الطبقة العاملة موجودة في حالة مكونة الا في بعض البلدان الاوروبيــة وفي الولايات المتحدة . ولم تكن الحركة العمالية تتخطى في الواقع هذه الحدود . ولم يكن مجموع عدد العمال يتجاوز ١٥ مليونا . وكان اكثرهم مشتتين في مؤسسات صغيرة ومتوسطة ، شبــه حرفية في أكثر الاحيان . ولم تكن هناك عمليا أحزاب عماليــة جماهيرية . وكانت الايديولوجية البورجوازية والبورجوازيــة الصغيرة مازالت مهيمنة في الحركة العمالية .

وفي الوقت الراهن يضم العالم الرأسمالي اكثر مــن ٣٧٠ مليون عامل . وتشكل نواتهم البروليتاريا الصناعية المحتشدة في المؤسسات الصناعية الكبرى . ويؤكد المدافعون عن البورجوازية ان دور البروليتاريا ينخفض في ظروف الثورة العلمية والتقنية . لكن هذه أوهام البورجوازية ، الطبقة المحكوم عليها بالزوال . وفي الواقع لا يشاهد انخفاض صفوف البروليتاريا بل تعاظمها السريع. وتتطور البروليتاريا على حساب صغار الملاكين الذين تقضي عليهم الاحتكارات بالخراب في حين أن قسما هاما من الاجراء المثقفين

يقتربون ايضا من الطبقة العاملة . ولا يتعلق الامر بـ « تواري » بل بتعزز الطبقة العاملة التي يتقدم مستواها الثقافي والتعليمي وتزداد مكانتها السياسية والمعنوية في المجتمع .

وبالمقارنة مع الكومونة فان امكانات تحقيق الوحدة الكفاحية الطبقة العاملة مع الفئات الاجتماعية الاخرى المضطهدة من قبل راس المال هي اكبر بكثير . وهذه الطبقات هي : الفلاحون والفئات المتوسطة في المدن ، والمثقفون ، والطلاب . وتوجد اذن ظروف فعلية لتكون تحالف واسع للقوى المعارضة لطغمةالدولةالاحتكارية.

ويؤدي تعزز السيطرة الاجتماعية والاقتصادية والروحية للاحتكارات حتما الى اشتداد صراع الطبقات . فالمجتمعالراسمالي لم يشهد منذ زمن طويل تظاهرات جماهيرية للعمال ذات اتساع كالاتساع المشاهد منذ الاعوام الثلاثة أو الاربعة المنصرمة. ويستهدف نضال الطبقة العاملة اكثر فأكثر حكم الاحتكارات . وهو يعطي مجالا لمجابهات عامة على النطاق الوطني مع آلة الدولة الاحتكارية . وقد أعطتنا مثالا ساطعا على ذلك احداث ايار ـ حزيران ١٩٦٨ المدوية في فرنسا ، وطن الكومونة .

ولكن من جهة أخرى تجابه الحركة العمالية خصما اقوى مما في زمن الكومونة . ففي أيامنا لم تعد البورجوازية كما كانت عليه قبل مائة عام . فان سيطرتها تتجسد اليوم في راسمالية الدولة الاحتكارية التي تجمع في آلية واحدة قدرة الاحتكارات وقدرة الدولة . وقد استخلصت البورجوازية الدروس من النكسات الخطيرة التي تعرضت لها منذ ذلك الوقت .

وبعد كومونة باريس عملت البورجوازية بصورة خاصة على اتقان ممارسة المناورات الاجتماعية وعلى غرس واستخدام

الاشتراكية الاصلاحية . وهي اذ تفعل ذلك لم تنس أبدا اتقان اساليب العنف المكشوف والارهاب والقمع المسلح ضد الجماهير . وفي فترة مابين الحربين بلغ هذا النهج ذروته في الفاشية .

ان هاتين الممارستين تتميز بهما دائما سياسة البورجوازية الاحتكارية . ان البورجوازية التي تحتكر ثمار التقدم العلمي والتقني يمكن أن تخصص اموالا اكبر بكثير مما في الماضي من اجل تطبيق سياستها الهادفة الى بلبلة وشق الحركة العمالية والقوى الديموقراطية الاخرى . وقد انشأت وجهزت تقنيا جهازا ضخما للدعاية لم يكن موجودا ، ليس قبل مئة عام فحسب ، بل وحتى قبل ٢٠ أو ٣٠ عاما . ويعمد هذا الجهاز يوميا وفي كل ساعة من ساعات اليوم الى القولبة الايدلوجية للراى العام منفذا التوجيهات المعادية للشيوعية والمعادية للسوفيات ، المدروسة بعناية من قبل الاوساط الحاكمة .

وفي الوقت ذاته تتقن اساليب القمع المباشر للحركة الثورية . ويجري انشاء قوات عسكرية ـ سياسية خاصة من اجل مكافحة النشاطات الجماهيرية ومظاهرات الشوارع التي يقوم بها العمال ومن أجل تشتيت المواكب والاجتماعات الحاشدة . وقد زود جهاز القمع بالوسائل التقنية الحديثة : اجهزة راديو ـ الكترونية وغاز مسيل الدموع وخراطيم مياه وقذائف من المطاط وكثير غيرها .

وتؤكد الوقائع باستمرار أن فكرة لينين القائلة بأن الطبقة المسيطرة ستبذل كل جهد من اجل صيانة النظام الراسمالي الذي ولى زمانه وانها لن تغادر المسرح ابدا ولن تتخلى عن الحكم طائعة.

ولكن مهما كانت ماكرة الاساليب المستخدمة من قبل

البورجوازية من اجل توطيد سيطرتها ، فلن توقف الحركة الثورية، فالطبقة العاملة والشغيلة ينتجون جميع الوسائل المادة الضرورية لحياة المجتمع . ولديهم الامكانات الكبرى سواء من أجل الدفاع عن مصالحهم في ظل الرأسمالية أم من أجل محاربتها . وقد قال لينين منذ ١٩١٩ ان الطبقة العاملة « تسيطر اقتصاديا على مركز وعصب النظام الاقتصادي الراسمالي بأسره » . وفي أيامنا فان هذه المعاينة لها صفة راهنة اكثر منهـا في اي وقت مضى . ان الترابط الوثيق المتبادل بين الحلقات الرئيسية للانتاج الراسمالي الحديث ، والحساسية الشديدة للاقتصاد الاحتكاري الدولتي تجاه كل ما يعكر هذا الترابط يتيحان للطبقة العاملة أن تخـوض بجدوى اكبر بكثير مما في الماضي النضال ضد الاحتكارات وهيئات حكمهـا .

وقد ذكر المؤتمر العالمي للاحزاب الشيوعية والعمالية المنعقد عام ١٩٦٩ بحق أنه مع النسبة الحالية للقوى على الصعيد العالمي وفي ظروف الثورة العلمية والتقنية يشاهد تعاظم الامكانات النضالية للجماهير الشعبية ضـد الامبريالية وضـد كـل نظام الاستثمار والاضطهاد . ويتوقف كل شيء على الاستخدام السديد لهـذا الامكان .

ان الظروف الموضوعية موجودة فعلا . ان الوضع في العـالم الراسمالي واتساع الصراعات الطبقية الراهنة يبثان الاقتناع اكثر فأكثر بأن النجاح يرتبط في الوقت الراهن ، الى حد كبير ، بقدرة الطبقة العاملة التي يقودها الحزب الماركسي ـ اللينيني على ادراك قوتها الفعلية وبكفاءة في أن تحشد حولها كل فئات الشغيلة الاخرى وان تؤمن هيمنة الحركة الجماهيرية والشعب بأسره ، وباستعداد الطبقـة العاملة لاستخدام قوتها مـن أجل معركة حاسمة ضـد

الراسمالية . وبالاضافة الى الظروف الموضوعية ، هناك حاجة الى العامل الذاتي كي تتحقق الثورة كما قال لينين ، وبعبارة أخرى ، الى قدرة الطبقة الثورية على القيام بأعمال ثورية جماهيرية شديدة بدرجة تكفي لان تحطم تحطيما كاملا (أو جزئيا) الحكومة القديمة التي لن « تسقط » أبدا حتى في عصر الازمات ، الا اذا « اسقطت ».

ان كل تاريخ الحركة العمالية يثبت أن الطبقة العاملة لايمكن ان تحل هذه المهمة من دون حزب ماركسي ـ لينيني متمرس . وهذا هو الشكل الرفيع للتنظيم السياسي للطبقة العاملة وتجسيد ذكائها وارادتها وطاقتها الثورية . وقد اكتسبت الطبقة العاملة بشخص الاحزاب الماركسية ـ اللينينية ، تلك القوى القيادية التي افتقر اليها كثيرا رجال الكومونة .

يشهد كل سير التطور الاجتماعي المعاصر على الاهمية المتزايدة للجانب الايديولوجي للصراع الطبقي . وفي مثل هذه الظروف فان التربية الثورية للجماهير تتطلب أكثر منهـا في أي وقت مضى جهودا منتظمة من أجل فضح جوهر الامبريالية المعادي للشعب والرد دون كلل على العداء للشيوعية في كل اشكاله وتجلياته ، وخوض نضال لايلين ضد الاشتراكية الديمقراطية اليمينية ، وضد الانتهازية اليمينية و « اليسارية » وضد التحريفية .

ويتكون الجيش السياسي الجماهيري للثورة في النضـال اليومي في سبيل المصالح الفورية للعمال . وفي هذا النضال الاقتصادي والسياسي يخسر الراسمال الاحتكاري موقعا بعد اخر . ان العمال والشغيلة الذين يوسعون على هذا النحو امكاناتهم في تطوير الهجوم الطبقي ، يرون أفضل فأفضل أن أي مكسب جزئي لايمكن أن يغير وضعهم المتدني في ظل الراسمالية ، وأن يصفي الاستثمار والاضطهاد

هكذا يظهر تفهم الصلة الحسية بين النضال في سبيل الحاجات اليومية والنضال في سبيل الاهداف الاشتراكية ،الاهداف النهائية.

ان الاعداد الثوري للجماهير يعني دائما تكوينها بروح أممية دائبة وقد سبق أن ألقت كومونة باريس ، أول ثورة بروليتيارية ، الضوء على الاهمية الهائلة للاممية باعتبارها عاملا للنضال الثوري.

وقد أثارت المأثرة البطولية لرجال الكومونة اندفاعا لم يسبق له مثيل للتضامن الاخوي للشغيلة . وقد تولى ماركس والرابطة العالمية للشغيلة التي كان يرأسها ، الدفاع بحزم عن الكومونة وتبنيا قضية رجال الكومونة . وبالرغم من أن ذلك استتبع بالنسبة الى الاممية وفروعها وبعض منتسبيها سيلا من الملاحقات واعمال القمع ، فقد ظلوا أمناء حتى النهاية لواجبهم الاممي الثوري .

ومنذ الكومونة يعرف العمال الواعون ذلك : ان اية فصيلة من فصائلهم تقود نشاطا ثوريا ، وتجازف بالقيام بالثورة ضد الرأسمالية انما تدافع عن مصالح كل المستثمرين (بفتح الثاء) والمضطهدين (بفتح الهاء) . ومن مصلحة كل القوى الثورية مساعدتها بجميع الوسائل وأن تكون معها من أجل مجابهة الهجمات المضادة من قبل الرجعية العالمية .

وبعد الكومونة شهدت حركة التضامن العالمي نهوضا خارقا خلال ثورة اكتوبر الاشتراكية التي رفعت الى درجة جديدة الاممية البروليتارية .

ان شرطا ضروريا ، لا بد منه ، من أجل اكتساب الجماهير الى الافكار الثورية يكمن في تحالفها وتضامنها مع الاشتراكية الحقيقية . وان ضرورة من الضرورات الملحة الاولى للاعداد

السياسي للجماهير في الظروف الراهنة تتلخص في جرها الى النضال ضد الحروب العدوانية للامبريالية وضد كل سياستها العسكرية المشددة وسيطرتها على الشعوب الاخرى وضد خطر حرب عالمية تشنها الامبريالية .

وفيما يتعلق بكومونة باريس . فلا بد من التأكيد انها كانت رد الجماهير الشعبية ليس فقط على الاضطهاد الاقتصادي والسياسي لرأس المال ، بل ايضا على الكوارث الناتجة عن الحرب التي شنتها الاوساط الحاكمة الفرنسية والالمانية . وهكذا اذن فقد توجب على الثورة البروليتارية الاولى أن تجابه هذه المسألة التي هي من المسائل الاكثر حدة ، مسألة الحرب والسلم . وتكون الموقف المبدئي لاغلبية مناضلي الكومونة تجاه الحروب التي شنها المستثمرون ، تكون تحت تأثير الاممية التي قادها ماركس . ان الطبقة العاملة الباريسية التي أعلنت الحرب الاهلية ضد مضطهديها فد اعلنت صراحة وبأعلى صوتها تأييدها للسلم والاخاء بين الشعوب . وقد أدانت الكومونة النزعة العسكرية وسياسة الفتوح باعتبارها همجية وجريمة . وقد اتخذت قرارا بتدمير مسلة فاندوم ، باعتبارها رمز العدوان والحرب ، الذي شيده نابليون في وسط باريس .

وهكذا وللمرة الاولى قالت الطبقة العاملة كلمتها التي لها وزنها في مجال كان احتكارا مطلقا للطبقات المسيطرة وحكوماتها .

وانه لامر له دلالته من جهة أخرى ، انه في الحل العملي لمسألة الحرب التي كانت قد طرحت أمام الكومونة بتعابير حسية تماما ، لان باريس كانت شبه مطوقة من قبل جيوش بسمارك ، استطاعت الكومونة أن تجمع بين مثلها العليا المادية للعسكرية والاهتمام

بالمصلحة الثورية الذي يمليه الوضع . وقد تعهد رجال الكومونة بمراعاة شروط الهدنة المسبقة مع المانيا اذا امتنعت المانيا عن التدخل في الحرب الاهلية . وهكذا اكتشفوا نفس مسعى السياسة الخارجية البروليتارية التي طبقها لينين بنجاح خلال عقد معاهدة صلح بريست ـ ليتوفسك .

لقد اثبتت تجربة كومونة باريس وكل التطور اللاحق للحركة العمالية كل الاهمية التي يرتديها ، بالنسبة الى انتصار الطبقة العاملة ، التكتيك والاستراتيجية العلميان والقيادة العلمية لنشاط الجماهير من قبل الطليعة الثورية .

* * *

كومونة باريس وأثرها على نمو حركة الطبقة العاملة

بقلم جاك دِكلو

كانت الطبقة العاملة الفرنسية التي أصابها ضعف كبير من جراء اراقة الدماء في ١٨٤٨ ، قد استعادت تدريجيا قوتها عندما اندلعت ثورة ١٨ آذار ١٨٧١ . فقد ازدادت عدديا نتيجة التطور الاقتصادي الرأسمالي ووعت قوتها .

وشهدت الامبراطورية الثانية العديد من الاضرابات ، الا أن العمال الذين كانوا في الغالب عزوفين عن السياسة كانوا يميلون انى لوم أصحاب العمل على ظروفهم المحزنة ، بدلا من نظام الامبراطورية ككل وحولهم الاستغلال والاضطهاد البشعان تدريجيا الى عامل معارضة قوي . اضطرت الامبراطورية الى أخذه بعين الاعتبار . ولم تخامر النظام أية أوهام في هذا المجال ، فلجأ الى القمع الرهيب .

وفي عام ١٨٧١ كانت هناك فروع للاممية الاولى في العديد من المدن الفرنسية على الرغم من أن افكار ماركس لم تكن قد تغلغلت بين صفوف البروليتاريا . ولم يكن كتاب رأس المال قد ترجم بعد الى اللغة الفرنسية والبيان الشيوعي لم يكن معروفا على نطاق واسع . وهذا بحد ذاته لماذا كانت فوضوية برودون . التي لم

تلق معارضة ايديولوجية قوية ، تمارس تأثيرا قويا على الحركة العمالية الفرنسية .

لقد حول كارل ماركس وفردريك انجلز الاشتراكية من طوباوية الى علم . فالاشتراكية قبل ماركس كانت تنتقد الانتاج الرأسمالي وآثاره ولكنها لم تكن قادرة على تفسير جوهره . ومن ثم لم تستطع فضح الرأسمالية نظريا واقتصرت على مجردشجبها والقول انها غير مرضية . وكان من الضروري لشن هجوم أساسي ضد نظام الانتاج الرأسمالي من تحديد مكانتها التاريخية في تطور الانسان اولا ومن ثم التأكيد على ضرورة استبدالها بنظام انتاج مختلف ، اشتراكي .

ولم يدرك الكومونيون ، حتى أولئك الذين كانوا أعضاء في الاممية الاولى ، ذلك بوضوح ، الا أن ذلك لم يحل دون طرح انتفاضة ١٨ آذار لقضية الثورة الاشتراكية على الرغم من ان الدافع الاصلي لذلك يمكن اعتباره رد فعل وطني لخيانة الطبقة الحاكمة للامة في الحرب الفرنسية ـ البروسية .

وعقب انهيار الامبراطورية واعلان الجمهورية في ٤ ايلول ١٨٧٠ أظهرت حكومة الدفاع الوطني انها تخاف البروسيين أقل مما تخاف شعب باريس الذي تحمل ببسالة مصاعب الحصار وكان مصمما على مواصلة القتال . وبدلا من دعوة الشعب الى الدفاع عن البلاد قامت تلك الحكومة ، على حد تعبير ماركس ، بالتصرف كحكومة خيانة وطنية .

وفي الثالث من آذار ، أي بعد يومين من دخول جيوش بسمارك باريس ، عقد مندوبو مائتين من الحرس الوطني اجتماعا،

كرد فعل لتعيين الجنرال داولي دي بالادين الرجعي قائدا للحرس الوطني (وهذا يفسر لماذا سمي جنود الكومونة بالفيدراليين) .

وأهاج تعاقب اجراءات الحكومة الرجعية شعب باريس . فقد أعقب قرار ١٠ آذار بتجريد باريس من رتبة العاصمة ، قرار بتعطيل ست صحف جمهورية ومرسوما يقضي بتحصيل الديون المتأخرة والكمبيالات ، الامر الذي هدد التجار والمنتجين واصحاب الحوانيت بالافلاس . وبالاضافة الى ذلك أعدت الحكومة مرسوما يلغي القرار الذي اتخذ اثناء الحرب والقاضي بتأجيل دفع أجور المساكن ، الامر الذي كان يعني طرد العديد من السكان .

وثار الباريسيون ، الذين كانوا يشعرون بأنهم طعنوا في الظهر ، عند توقيع معاهدة السلام التي تخلت عن الالزاس وجزء من اللورين الى المانيا ، وحددت تعويضات الحرب بنحو ٥٠٠٠ مليون فرنك . وتحركت مشاعرهم الوطنية والديموقراطية ، فحقدوا على الحكومة الرجعية المعادية للوطن والتي كان همها الاساسي قمع الباريسيين .

ومن أجل عزل فئات الشعب الباريسي المتقدمة سبق تيير اجراءاته الرجعية في ١٨ آذار ببيان أعلن فيه « العزم على القضاء على لجنة الثورة التي لا يمثل أعضاؤها .. شيئا سوى المباديء الشيوعية والذين سيتخلون عن باريس للنهب والسلب » .

وفر تيير عقب محاولته الفاشلة للاستيلاء على بنادق الحرس الوطني الى فرساي وأصدر أوامره باخلاء باريس . وقد كانت القوات المسلحة التي تحت امرته مستنزفة ، وكان ماركس على حق كامل في قوله انه كان يتعين على ثوريي باريس أن يهاجموا قوات تيير فورا وأن يلحقوا بها حتى فرساي .

وجميع الدلائل تشير الى ان فكرة بعض العناصر التي ساهمت في ثورة ١٨ آذار حول الاهداف المعرضة للخطر كانت محدودة ومن ثم ركزوا على الحريات في الكومونة التي جردت منها باريس وبهذا اضفوا طابعا محليا على أهداف الانتفاضة .

وبعد ان حمل تيير الجمعية الوطنية على التصديق بسرعة على معاهدة السلام الاولى ، ركز كل همه على تصفية الحساب مع باريس ، مدينة الثورات ، المدينة المسلحة التي ألقت الرعب في قلوب الطبقات المالكة الالمانية والفرنسية على حد سواء . وقد كان من المستحيل والظروف على ماهي عليه ، على شعب باريس ان يراقب بسلبيته ماكان يفعله تيير ومحاولاته للاستيلاء على بنادق الحرس الوطني ، وهي الخطوة الاولى نحو تجريد العاصمة من السلاح .

فثارت باريس مرغمة تيير على التخلي عن مشروعه . وجاء انسحاب قوات الحكومة في اتجاه فرساي مفاجئا حتى أنه خلق عنصر اضطراب بين أعضاء اللجنة المركزية للحرس الوطني الذين لم يكونوا يتوقعون احتلال قاعة البلدية دون معركة حامية ، كما وانهم بدوا غير مستعدين لتحمل المسؤولية التي وقعت على كواهلهم . واسرعت اللجنة المركزية ، وقد فشلت في استغلال انسحاب تيير لصالحها ، وفي التخلي عن السلطة ودعت الباريسيين الى انتخاب كومونة باريس في ٢٦ آذار . وقد وصف ماركس ذلك بأنه كان خطأ . وقال « ان اللجنة المركزية تخلت عن سلطاتها بسرعة لافساح المجال أمام الكومونة » (رسالة الى كوغلمان ، ١٢ نيسان ١٨٧١) .

اما فيما يتعلق بتيير فقد استخدم مع ثورة ١٨ آذار ١٨٧١ الاسلوب نفسه الذي ابتدع في زمن ثورة ١٨٤٨ . فتخلى عن باريس للاعداء لمحاصرتها على مهل مستفيدا من تأييد البروسيين الضمني الذين احاطوا بالنصف الشرقي من باريس ابتداء من **ايفري** حتى **سان دنيس** .

ولم تكن الكومونة عبارة عن مجلس بلدية العاصمة ، بل اول تجربة للطبقة العاملة في تسلم السلطة ، واول حكومة اشتراكية .

وقد كان يضغط عليها ثقل التناقضات التي دشنت مولدها في المجال الاقتصادي ، اذ انه على الرغم من التطور الصناعي الضخم نسبيا ، كان الشكل الحرفي يسود الانتاج والبروليتاريا مازالت ضعيفة ايديولوجيا وسياسيا نسبيا . ولم يكن لديها تنظيم سياسي واضح المعالم أو هيئات نقابية جماهيرية . واعاقت التبادلية(١) البرودونية والعداء للسياسة نمو الوعي الطبقي بين الشغيلة .

---

١ ـ التبادلية : مبدأ بيير جوزيف برودون ١٨٠٩ ـ ١٨٦٥) الاشتراكي البورجوازي الصغير الذي كان يؤمن أن بالامكان تحويل الرأسمالية الى الاشتراكية وذلك عن طريق انشاء جمعيات تعاونية وقروض متبادلة وما شابه ذلك ، دون اللجوء الى الصراع الطبقي والثورة وتأميم الملكية . وقد عارضها « التعاونيون » في فرنسا في ستينات القرن الماضي واتباع ماركس والبرودنيون اليساريون أيام الكومونة والفيديون (نسبة الى الزعيم الاشتراكي فيدا) في سبعينات وثمانينات القرن الماضي . (المترجم)

بين اعضاء الاممية الاولى بوضوح اكثر ، بينما كان اليعاقبة الجدد هم الذين يواصلون مجد الثورة الفرنسية العظمى .

ومع ذلك كان من المحتم على الكومونة أن تكتسب طابعا اشتراكيا متزايدا ، الامر الذي حمل في الواقع بعض العناصر التي انضمت اليها في بادىء الامر ، الى التخلي عنها .

والعديد من اجراءات الكومونة ، يظهر أن السلطة التي ولدت في ١٨ آذار كانت ترمي الى تحقيق أهداف الثورة الديموقراطية البورجوازية . فإلغاء ايجارات المساكن وتأجيل مواعيد دفع الكمبيالات ، والغاء الربا ووكالات التوظيف الخاصة والبيروقراطية وانتخاب الموظفين من قبل الشعب والغاء العمل الليلي ، كل ذلك كان يعكس موقف الكومونة من المشاكل الاجتماعية ويدلل على امكانياتها البناءة والتناقضات الذاتية التي أضعفتها .

ولن ينس الشغيلة مطلقا اهمية الكومونة لنضال العمال المشترك ، وقد اشار لينين الى أن « الكومونة علمت البروليتاريا الاوروبية حرح مهام الثورة الاشتراكية بشكل صحيح » (المجلد ١٣ ص ٤٧٧) .

وفي باريس ، الغت الكومونة الدولة البورجوازية وهيئات حكمها المختلفة . فاستعاضت عن الجيش المحترف بالشعب المسلح وحاولت تخفيض عدد الشرطة ، تلك الشرطة التي كانت تخدم الطبقات المالكة ، ووضعت قيودا على رجال الدين الذين كانوا أدوات اضطهاد روحي وفصلت الكنيسة عن الدولة ، واستعاضت عن السلك القضائي ذي الاستقلال المزعوم والذي هو في الواقع موال لراس المال ، بهيئات عدالة جديدة منتخبة من الشعب ومسؤولة امامه ويستطيع تجريدها من سلطاتها .

وقد عكس ذلك تطلعا عميق الجذور نحو التغيير ، فلم يكن مجرد تغيير في الشخصيات السياسية ، بل ان طبقة اجتماعية جديدة ، تقدمت الى صفوف التاريخ الامامية ، تولت مصير العاصمة الفرنسية معتقدة انها ستستولي في النهاية على مصير البلاد بأسرها انطلاقا من ان جميع الثورات بدأت من باريس .

واشار لينين الى ان الكومونة أصابها الضعف نتيجة خطأين: وقفت البروليتاريا الباريسية في منتصف الطريق في الاستيلاء على ممتلكات المستغلين ، كما كانت متسامحة للغاية مع أعدائها ، ففشلت في استيعاب أهمية الجهد العسكري ضد فرساي .

واحد الامثلة الواضحة على الخطأ الاول هو الموقف من بنك فرنسا . فقد كان في ذلك الوقت مصرفا خاصا يتمتع بحق اصدار العملة ويراسه **روتشيلد وماليت** وغيرهما من كبار رجال المال . ولم يدرك الكومونيون عند استيلائهم على البنك انه يجب عليهم وقف اعتمادات حكومة فرساي ، الامر الذي سيضاعف من مصاعب تيير ويزيد من مصادر تمويل الكومونة التي كانت قانعة بالاموال الهزيلة التي تغطي احتياجاتها القليلة ، بالاضافة الى ذلك فان الاموال التي كانت تطلبها الكومونة كانت تقدم حساباتها حتى آخر فلس ، لان الكومونيين كانوا يخشون اقل اتهام باساءة استخدام الاموال . الا أن اسلوب الحسابات الدقيق هذا لم يكن ينمشى مع احتياجات الثورة التي اشعلتها استفزازات تيير ، تلك الثورة التي كان من الضروري استمرارها ، ولم يقدر اشتراكيو تلك الفترة الذين لم يعرفوا تعاليم ماركس ، ضرورة الاستيلاء على البنوك (بنك فرنسا الذي كان بنك البنوك بالدرجة الاولى) وذلك لسد الطريق على الرأسماليين وحكومة فرساي التابعة لهم .

اما الخطأ الثاني الذي حدده لينين ، فقد ارتكب في مساء ١٨ آذا عندما اتخذت الكومونة موقف المترقب ، الامر الذيأفاد فرساي . فلو هوجمت فرساي فورا لواجهت مصاعب ضخمة. فقوات باريس المسلحة لم تكن تفوق قوات فرساي فحسب في باديء الامر ، بل ان معنوياتها كانت افضل لفرار تيير ، بينما قوات فرساي كانت محطمة المعنويات وعلى وشك الانهيار .

ولا بد من الاشارة الى أن الكومونة كانت هيئة منتخبة تتمتع بالسلطات التشريعية والتنفيذية معا ، وقد كان ذلك ديموقراطيا للغاية ، كما اننا لازلنا نذكر أن ادارة النظام السابق ، ووزراءه العديدين وكبار رجال شرطته كانوا معادين للطبقة العاملة ..

وتوصل ماركس في دراسته لذلك الى استنتاجه القيم ، هو ان جهاز البورجوازية السياسي يجب أن يحطم و ستبدل بدولة جديدة ، ممثلة للطبقات الاجتماعية الجديدة التي استولت على السلطة .

لقد كانت كومونة باريس عبارة عن ديكتاتورية البروليتاريا، ولكن بسبب تركيبها وقلة العناصر الاشتراكية فيها كانت لها عيوبها الحتمية ولم تكن قادرة على أن تكون ديكتاتورية بروليتارية كما نعرفها اليوم فقد كانت الغالبية فيها من الديموقراطيين البورجوازيين الصغار ولم يفت اعضاء الاممية في الكومونة ملاحظة وجود اختلاف بين مفاهيمهم وبعض مواقف الكومونة .

في الواقع لقد كانت الكومونة عبارة عن خليط من الحركات المتباينة اختلطت فيها رغبة العمال في تغيير الوضع الاجتماعي

بسخط العناصر البورجوازية الصغيرة الذي انتهى الى الافلاس والخوف من أن تقوم الرجعية بالغاء الجمهورية ، كما اختلط فيها أيضا غضب اجزاء كبرى من الشعب التي عزت هزيمة فرنسا الى خيانة البورجوازية الحاكمة .

واكتسبت كومونة باريس في الوقت المناسب طابعا اجتماعيا متزايدا الا انه من المناسب أن نؤكد هنا على أن اليعاقبة والبلانكيين مارسوا سياسة تمييز ضد اتباع الاممية .

لقد كان تكوين لجنة الانقاذ العام ، والتي هي الهيئة التنفيذية الخاصة ـ للكومونة ـ دليلا على الرغبة في تقليد الاسلاف العظام في ثورة القرن الثامن عشر ، بيد أنه كشف أيضا عن عزم الاغلبية على ابقاء أعضاء الاممية خارج تلك اللجنة . لقد حرموا من دخولها عندما تشكلت أول مرة في أيار وكذلك للمرة الثانية بشكلها الثاني في ٩ أيار . وكانت الاغلبية راغبة في التضحية بالوحدة حتى في الوقت الذي كان فيه الخطر يزداد ساعة بعد ساعة . وهذا ما اظهر كيف أن فكرة العداء للشيوعية ، التي تشغل اليوم أداة لشق صفوف الطبقة العاملة ، قد برزت الى السطح في تلك الحقبة البعيدة .

لقد اصبح وضع الاقلية لا يحتمل ، وفقا لراي غوستاف ليفرانسيز ، عضو الكومونة والاممية . وللحقية فان الاشتراكيين كانوا ما يزالون قادرين على معالجة القضايا الاقتصادية ، التي ازدرتها الاغلبية ، بيد أن الاغلبية كانت تصوغ القرارات الاكثر اهمية في لقاءات خاصة وليس في اجتماعات رسمية . وجرت تنحية اعضاء الاقلية الواحد تلو الاخر عن المراكز المسؤولة . واحل محل شارل لونغيه ، الذي كان يراس الجريدة الرسمية ، الناطقة

باسم الكومونة ، احل محله بيير فسينيير ، وكان أوجين فارلين على وشك أن يعزل من اللجنة العسكرية . وفي هذه الظروف أعلنت الاقلية في ١٥ أيار بيانا الى الراي العام جاء فيه :

« لقد تخلت كومونة باريس عن سلطاتها وفقا لتصويت خاص ومحدد ، محولة اياها الى ديكتاتورية ، أطلقت عليها اسم **لجنة الانقاذ العام** وجردت اغلبية الكومونة نفسها بتصويتها من المسؤولية ووضعت على عاتق لجنة الانقاذ العام المسؤولية الكاملة عن وضعها ...

« وبقدر مايتعلق الامر بنا ، نحن مثل الاغلبية ، نريد التجديد السياسي والاجتماعي ، ولكننا على الضد من آرائهم ، وباسم الناخبين الذين نمثلهم ، نضع موضع التطبيق حق تفسير أعمالنا للناخبين ، ولا نختفي وراء أية ديكتاتورية مطلقة ، لكي نقبل ونعترف بما لم نفوض به .

« ولن نحضر الجمعية ابدا ، الا اذا حولت نفسها الى محكمة لمحاكمة أحد أعضائها » .

لقد اقترفت الاقلية ، التي ضمت ١٣ أو ١٤ من أعضاء الاممية ، خطأ فادحا باعلانها انها لم تحضر الجلسات الاعتيادية للكومونة . ولم يوافق المجلس الاتحادي لاقسام باريس ، الاممية على هذه الاستقالة المفروضة على النفس ، واتخذ القرار التالي: « ان المجلس الاتحادي نظر في ايضاحات مواطني الاممية والذ ن هم أعضاء في الكومونة ، وفي الوقت الذي يلاحظ فيه ولاءهم التام لدوافعهم ، فانه يناشدهم باسم مصالح قضية العمال ان يتعاونوا في صيانة وحدة الكومونة ، تلك الوحدة الضرورية لانتصار الكفاح ضد حكومة فرساي » .

وفي الوقت الذي كشفوا فيه عن عدم ثقتهم بأعضاء الاممية، لم يكن اليعاقبة الجدد ولا البلانكيون حكماء بما فيه الكفاية في تعيينهم لرؤساء وزارة الحـــرب ، فقد اختاروا أولا غوستاف كلوسيرت ، ثم لويس روسل ، وفي النهاية شارل ديلكلوز .

ومع ذلك ، فان الحقيقة تبقى في أن كومونة باريس التـــي اصبحت معلماً من معـــالم التاريخ الفرنسي والحركة العماليـــة العالمية ، كانت الصدام الكبير الاول بين قوى الراسمالية وقوى الاشتراكية ، والبشير بعصر جديد في صراع الطبقات .

لقد كان من الطبيعي ان اصداء اخماد كومونة باريس قـــد تردد في الاممية الاولى ، ففي مؤتمر لندن المنعقد في ١٧ ــ ٢٣ ايلول ١٨٧١ قدم أحد أعضاء الكومونة ، ادوارد فيلانـــد ، وهـــو يتحدث ضد ماسمي بالامتناع عن السياسة ، قدمالاقتراح التالي : احرزت انتصارا مؤقتا ، والتي تقمع بالقوة كل المطاليب مـــن « ان المؤتمر ، في مواجهة الرجعية المنفلتة مـــن عقالهـــا ، التي احرزت انتصارا مؤقتا ، والتي تقمع بالقـــوة كـــل المطاليب مـــن اجل ديموقراطية اشتراكية ، وتنوي استخدام القوة للاحتفاظ بالفروق الطبقية ، ان المؤتمر يذكـــر أعضاء **الرابطة الاممية** بأن اجل ديموقراطية اشتراكية ، وتنوي استخدام القوة للاحتفـــاظ بالفروق الطبقية ، ان المؤتمر يذكر اعضـــاء **الرابطة الامميـــة** بـــأن للقضايا السياسية والاجتماعية مرتبطة ارتباطا لا انفصـــام له ، وانهما وجهان للمهمة نفسها التي تواجه الاممية ، تلك هي مهمـــة ازالة الطبقات .

وينبغي على الشغيلة ان يدركوا التضامن السياسي ، وضم اتحاد حزب **الكادحين الاشتراكيين** الذياسسفيمؤتمر مارسيليا ،

نقابيين معتدلين ، وتعاونيين من جهة ، والعناصر الجماعية من جهة أخرى . وابتعد الاتجاهان عن بعضهما في تشرين الثاني ١٨٨٠ فكون الجماعيون **حزب العمال الاشتراكي** . ولكن الانشقاق داخل الحزب الجديد كان وشيك الوقوع بين القائلين بالاتجاهات الثورية والقائلين بالاتجاهات « الممكنة » الذين ابتعدوا عن البرنامج الطبقي البروليتاري بحجة ان « تقسيم هدف الطبقة العاملة الى أجزاء يجعل من الممكن تحقيقه » .

وفي مؤتمر سان ـ ايتيان في عام ١٨٨٢ انفصل القائلون بالاتجاها ت « الممكنة » والقائلون بالاتجاهات الثورية مرة والى الابد واسس الاتجاه الأول **حزب العمال للاشتراكيين الثوريين** ، والذي أعيد تسميته في ١٨٨٣ **باتحاد العمال الاشتراكيين** ، بينما اسس الاتجاه الثاني **حزب العمال الفرنسي** .

ومع ان العمال ادركوا ان انقسام القوة اضعف الحركة ، وناضلوا من اجل الوحدة ، فقد كان ينبغي ان يمر العديد من السنوات قبل أن تحقق هذه الوحدة .

وانفجرت في الوقت ذاته اضرابات في عدد من الاقطار ، بما في ذلك روسيا ، وتكونت أحزاب اشتراكية في المانيا ، فرنسا ، الولايات المتحدة ، النمسا . وقد حان الوقت لان تتحد هذه الاحزاب ، وما جعل هذا الاتحاد اكثر الحاحا هو أن القائلين بـ « الممكن » الفرنسيين وحلفاءهم الانتهازيين في بريطانيا العظمى كانوا يحاولون ان يؤسسوا تحالفا امميا يسيطرون على قيادته . وعقد الماركسيون الفرنسيون ، بنصيحة من انجلترا ، مؤتمرا في باريس من ١٤ تموز وحتى ٢١ منه عام ١٨٨٩ واضعين بذلك حجر الزاوية للاممية الثانية . وقد دحر الفوضويون والقائلون بـ

« الممكن » الذين حضروا المؤتمر . واكد المؤتمر على أن الاشتراكية هي الهدف النهائي للحركة العمالية ، متخذا قرارا بالنضال من أجل يوم عمل من ثماني ساعات ، ومن أجل اجور أعلى وغير ذلك من المطاليب العمالية .

وأحرزت الحركة العمالية الاوروبية بعد مؤتمر باريس نجاحات أساسية فقد الغي في عام ١٨٩٠ القانون الخاص المعادي للاشتراكية في المانيا بفضل ضغط الطبقة العاملة القوي، وفي انكلترا صوت مؤتمر النقابات العمالية ، متحديا القيادة الانتهازية ، على يوم عمل من ثماني ساعات ، وقامت مظاهرات عمالية في أول ايار في معظم الاقطار .

لقد عقد المؤتمر الثاني للاممية الثانية في بروكسل في آب ١٨٩١ ، وعكست قراراته ضرورات الكفاح ضد الفوضوية .

وفي عام ١٨٩٣ عقدت الاممية الثانية مؤتمرا في زوريخ ، استنكر رسميا تكتيك الفوضوية وقرر انه لا نستطيع ان تدخل الاممية ، الا تلك الاحزاب العمالية التي تعترف بالنضال السياسي . وخطب انجلز في الاجتماع الختامي واوضح أن الفوضويين يتصرفون كما يتصرف مخربو تنظيم الحركة العمالية . لقد ناضل انجلز حتى يوم وفاته ، ضد التيارات الانتهازية (المبالغة في البرلمانية على سبيل المثال) الواضحة في الاممية الثانية .

ازداد نفوذ الانتهازية في المؤتمر الاول الذي تلا وفاة انجلز . وطرد هذا المؤتمر الذي عقد في لندن ١٨٩٦ الفوضويين ، مؤكدا من جديد على فكرة ان على الطبقة العاملة واحزابها الاشتراكية الديموقراطية ان تشن نضالا سياسيا من أجل السلطة ، ولكنه

تجنب مسألة ديكتاتورية البروليتاريا . وساند حق الامم جميعا في تقرير مصيرها بنفسها ، وعارض السياسة الاستعمارية ، بيد انه لم يتخذ اية اجراءات لمكافحة سياسة الامبريالية العدوانية في مرحلتها الاولية . والاكثر من ذلك ، فقد رفض ان يستخلص المطالب الزراعية الاساسية .

لقد تجاهلت الاممية الثانية الثورة الروسية سنة ١٩٠٥ ، تلك الثورة التي مارست نفوذا هائلا على الحركة الثورية العالمية، وذلك بسبب اشتداد قوة الاتجاهات التحريفية .

وعارض لينين في مؤتمر شتوت غارت في ١٩٠٧ المندوبين اللذين اكدوا ان الاستعماريين لعبوا دورا « تمدينيا » . وأصر على التعديلات التي اقترحها فيما يتعلق بالنضال ضد الحرب . وأحد هذه التعديلاتالتياقرت ،كانت تصور تطورالحرب الامبريالية الى حرب اهلية . ومع ذلك ، وكما هو الشأن في حالات العديد من التعديلات الاخرى ، عمل التناقض بين قرارات الاممية الثانية وأعمالها ضد التعديل .

وحضر لينين أيضا مؤتمر كوبنهاغن في عام ١٩١٠ ، الذي اتخذ قرارا يقضي بأن تصوت الاحزاب الاشتراكية ضد اعتمادات الحرب وتطالب بخفض التسلح ، ونزع السلاح الشامل ، وباللجوء الى التحكيم في النزاعات الدولية . وطالب المؤتمر الاخير للاممية الثانية قبل الحرب العالمية الاولى (باسل ١٩١٢) بالنضال الحازم ضد الحرب الموشكة الوقوع وشهر بطابعها الامبريالي . ومع ذلك، فان الجهود لتنظيم عمل جماعي كانت دون مستوى المتطلبات بمراحل .

وانهارت الاممية الثانية في آب ١٩١٤ عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى بسبب تأييدها لشعار « الحـــرب حتـــى النصر » واستبدالها مفهـــوم الامميـــة البروليتارية الثـــوري بالايديولوجية الشوفينية الرجعية .

لقد اغنى لينين الماركسية بتحليله للرأسمالية في مرحلـــــة الامبريالية ، مستنتجا انه من الممكن تحقيق ثورة بروليتارية أولى في بلد واحد ، بلد يكون أضعف حلقة في السلسلة الامبرياليـــة . وهكذا ادرجت قضية الثورة في العمل . وأدرك شغيلة روسيا ، عندما حقق البولشفيك ثورة اكتوبر الاشتراكيـــة عـــام ١٩١٧ ، ادركوا انه سيكون لنصرهم اصداء في طول العالم وعرضه . وقد قدموا التضحيات ليس من أجل مستقبلهم فحسب، بل ومن أجل الشغيلة كلهم .

وأسس لينين الاممية الثالثة ، وكان هدفها تحرير العمـــال من اشراك الانتهازية قادة الاممية الثانية ، وقيادتهم في طريـــــق الكفاح الطبقي الثوري وفقا لروح الاممية الاولى .

وعلى الرغم من نقاط الضعف في كومونة باريس ، فان تحليل نشاطاتها لا يلقي شكا على شرعية وعظمة وآفاق القضية التـــي ناضل ومات من أجلها الكومونيون . وينبغي ان نقول لاولئك الذين يتساءلون « هل كان باستطاعة كومونة باريس ان تنتصر ؟ »موحين بأن الكفاح يجب الا يشن حتى يصبح الانتصار اكيدا ، ينبغي أن نقول لاولئك لو أن عمال باريس لم يردوا على استفزاز تيير ، ولو سمحوا بتجريدهم من السلاح وبالتغلب عليهم دون كفاح ، لكان على الحركة العمالية ان تعاني آلاما أكثر بكثير مما عانت ، نتيجـــة لاستسلامهم . ولاستغلت البورجوازية هذا الوضع ابشع استغلال

لتعلن ان حكمها ثابت لا يتزعوع ولتؤكد انه ليس ثمة قوة اجتماعية اخرى تستطيع ان تحل محلها في تشكيل مصير الامة .

ولم يكن لشغيلة باريس في مواجهة استفزازات تيير اي بديل عن القتال . وهذا ما يفسر لماذا كتب ماركس الذي كان قد حذر الباريسيين من التسرع في العمل ، باعجاب عظيم في رسالة كوغلمان في ١٢ نيسان ١٨٧١ : « أية مرونة ، وأية مبادرة تاريخية ، وأية قابلية على التضحية لدى هؤلاء الباريسيين (... قارن هؤلاء البار سيين الذين يصعدون لاحتلال السماء مع عبيد السماء في الامبراطورية الرومانية المقدسة الالمانية ـ البروسية ، وبمساخرها التنكرية والتي طبعت بعد موت مؤلفها والتي تفوح منها رائحة الثكنات ، والكنيسة ، وكرنب ، طبقة النبلاء البروسيين ، وقبل كل شيء رائحة الرجعية والتعصب ». ولم يخف ماركس اعجابه ببطولة الكومونيين الذين وقد استولوا على السلطة ، ولو لوقت قصير ، قرعوا أجراس عصر لنوع جديد من الثورة ، الثورة الاشتراكية .

ومما لا ريب فيه أن بعض الكومونيين ، وخاصة اليعاقبة الجدد ، كان لهم ايمان شبه واع بالتأثير العظيم لبعض الاعمال . فقد أثارت لجنة الانقاذ العام في أذهان مؤسسيها ارتباطات ذات صلة بالثورة الفرنسية العظيمة ، التي كانت قد قاومت أوروبا الاقطاعية موحدة . بيد ان تلك الصيغة وحدها كانت غير كافية لتغطية الفجوة الهائلة بين الوضعين التاريخيين . ففي عام ١٧٩٣ وحدت فرنسا ، احدى الامم الفرنسية العظمى ، قواها كلها لمواجهة العدو ، أما في عام ١٨٧١ ، فان مدينة معزولة حاربت حكومة تساندها قوى القطر المحافظة ويساعدها عدو خارجي أيضا .

ان تقليد الجدود العظام لم يضمن انتصارا للثــورة ، وان استخدام الصيغ القديمة كان دليلا على عدم الحسم وعلى الخوف من المستقبل . ومع ذلك ، فان هذا لا يعني التقليل من شـــأن حقيقة ان كومونة باريس قد طرحت بشكل علمي قضية الثــورة الاشتراكية أمام البروليتاريا العالمية . ان أولئك الذين وجهـــوا أكداسا من القمع الوحشي ضد الكومونة المقهــــورة جعلوا مـــن الكومونيين شـــهداء عانوا آلاما مـــن أجل قضية تحرير الشغيلة العظمى ، ومن أجل القضية الاشتراكية .

وهذا ما يفسر لماذا اصبح كفاح الكومونيين الذي كان أبعــد ما يكون عن العقم ، البشير بعالم جديد ، اذ كانت ثــورة اكتوبر ١٩١٧ التجسيد المنتصر لكومونة باريس .

لقد كان أبطال وشهداء كومونة باريس ممثلين شجعان للطبقة العاملة التي كانت آنذاك ما تزال فتية ، غير مجربة ، تعمر قلوب أبنائها الاوهام ، وقد هبوا لاحتلال السماء وليورثوا أحفادهــم الايمان بأنه من الممكن كسب الجماهير الى صف قضية التحريـــر والاشتراكية دونما أوهام عابثة وأحلام فارغة .

كانت كومونة باريس فجر الثورة وليس شفقها ، ولن يغيرها ما يكدسونه حولها من افتراءات . فثورة اكتوبر ١٩١٧ ثارت لها . لقد فكر لينين بثوريي بار س عام ١٨٧١ حينما سأل نفسه وهـــو يستولي على السلطة فيما اذا كانت حكومة السوفيات ســـوف تصمد على الرغم من الصعوبات الهائلة قدر ما صمدت كومونـــة باريس ، التي قد استمرت على البقاء ٧٢ يوما فقط .

وقال لينين ، أعظم استراتيجي لثورة اكتوبر ، ما يلي بصدد احداث ربيع عام ١٨٧١ :

« ان ذكرى محاربي الكومونة لا يجلها العمال الفرنسيون فحسب ، بل بروليتاريا العالم كله ، لان الكومونة ما حاربت من اجل هدف محلي ووطني ضيق ، بل من اجل تحرير الانسانية الكادحة كلها ، ومن أجل المسحوقين والمظلومين في كل مكان . لقد قام تعاطف مع كومونة باريس ، باعتبارها أول محارب من أجل الثورة الاجتماعية ، في أي مكان توجد فيه بروليتاريا تعاني آلاما وتشن كفاحا . ان ملحمة حياتها وموتها ، ان منظر حكومة العمال التي استولت على رأس المال العالمي واحتفظت به لما يزيد على الشهرين ، ومشهد كفاح البروليتاريا البطولي والعذابات التي عانتها بعد هزيمتها ، ان هذه الامور كلها رفعت الروح المعنوية لملايين العمال ، وحفزت آمالهم وحشدت عواطفهم من أجل قضية الاشتراكية . ان دوي المدافع في باريس أيقظ الاقسام الاكثر تخلفا من البروليتاريا من سباتها العميق . وأعطى في كل مكان زخما للدعاية الثورية الاشتراكية . وهذا يفسر لماذا لا تموت قضية الكومونة ، انها تعيش الى اليوم في نفس كل واحد منا . ان قضية الكومونة هي قضية الثورة الاجتماعية ، قضية التحرر السياسي والاقتصادي الكامل للكادحين . انها قضية البروليتاريا في العالم بأسره . وهي بهذا المعنى خالدة » .

(المجلد ١٧ ص ١٤٣) .

كومونة باريس والأزمنة الحديثة (١)

تقف كومونة باريس في برنامج الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي على رأس قائمة المراحل التاريخية في معارك البطولة التي خاضتها الطبقة العاملة العالمية من أجل انتصار الشيوعية، انها تقف في نفس المستوى مع ثورة اكتوبر العظمى التي كانت فاتحة الثورات التي نشبت في البلاد الاخرى ، فالكومونة واحدة من المعالم البارزة للثورة العالمية عبر الطريق الذي خضبته دماء المحاربين في سبيل اسعاد الشعوب . عبر طريق الانتصارات المجيدة والهزائم المؤقتة التي سبقت الشيوعية . وهي الحلم الذي راود الانسانية من قبل ثم تحول الى أعظم قوة في الازمنة الحديثة .

وتختلف احداث الماضي من ناحية التقدير الذي تحظى به ، فبعض تلك الاحداث كانت مجرد حوادث تاريخية ذات دلالة ، رغم ما يمكن ان يكون فيها — في مرحلة من المراحل — من المحتوى الذي يحمل بعض الفائدة لحاضرنا . وهناك أحداث قد تفصلها عنا قرون ، ومع ذلك تكون جزءا لاينفصل من التطور التاريخي للحاضر وتسترعي انتباه جميع من يشاركون مباشرة في الكفاح السياسي والفكري في أيامنا هذه ، وهناك كل المبررات لاعتبار كومونة باريس عام ١٨٧١ حدثا من النوع الاخير . وفيما يلي نستعرض بايجاز الحقائق الرئيسية في تاريخ الكومونة .

١ — مجلة الكومونيست السوفياتية .

لقد مني الجيش الفرنسي بالهزيمة في الحرب الفرنسية البروسية عام ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ وارتعدت البورجوازية الفرنسية خوفا من الشعب فخانت مصالح البلاد القومية ، ففي شباط عام ١٨٧١ وقعت حكومة تيير الرجعية اتفاقية سلام تمهيدية مع المانيا قبلت بموجبها التخلي عن الالزاس واللورين بالاضافة الى دفع خمسة آلاف فرنك كتعويض ، ولقد كانت الطبقات المالكة تأمل بهذا الثمن ان تشتري « النظام » في فرنسا وان تنجح ـ بعد أن وطدت نفوذها بمساعدة الحراب البروسية ـ في اخماد غليان الطبقة العاملة ، ذلك الغليان الذي كان على وشك أن يتفجر في ثورة عارمة كانت ستكون الثورة رقم ٥ في تاريخ فرنسا .

وكانت الاسباب الاساسية في الانفجار المتوقع تتضح ببطء ، ولكن المؤكد ان هذه الاسباب كانت قائمة فعلا قبل عام ١٨٧١ بمدة طويلة ، ففي الستينات كانت البلاد قد مرت في مرحلة انتعاش اقتصادي تمت أثناءه الحركة العمالية ، وظهرت فصائل الاممية الاولى التي اتسع نفوذها ، وتشربت عقول العمال المتقدمين فكريا أكثر وأكثر فكرة القيام بثورة لاتقف عند حد الاطاحة بالامبراطور نابليون الثالث وانما تتعداه الى القضاء على نظام الاستغلال ذاته .

وهكذا لم تكن الثورة التي اندلعت في باريس في الثامن عشر من آذار ١٨٧١ حادثا تاريخيا أو انحرافا عن التطور العام للتاريخ كما تحاول البورجوازية أن تصورها ، ولكنها كانت النتيجة المنطقية والطبيعية لتطور الصراع الطبقي للبروليتاريا العالمية والفرنسية .

اول حكومة للطبقة العاملة في التاريخ

ولقد تراكم عدد كاف من الاسباب المباشرة لاثارة سخط العمال الفرنسيين ، فقد ادت الهزيمة الى ان تحتل الجيوش الالمانية ارضا فرنسية ثالثة ، ذلك بالاضافة الى ما عانته جماهير العاصمة خلال الحصار من جوع وبطالة وفقر ، كما أن السخط العميق الذي أوجدته السياسة المعادية للشعب . وهي السياسة التي كانت تسير عليها الدوائر البورجوازية الحاكمة التي اسلمت قيادها للعدو ، وحاولت أن تحمل الشعب نتائج ومصائب الحرب التي خسرتها ، وذلك بعد أن جردت الحرس الوطني (وهو الحرس الداخلي الذي كان يتكون من العمال والوطنيين) من السلاح بمجرد أن تمكنت من ذلك ، كل هذا وغيره من الاحداث والاوضاع غير المواتية أثارث غضب رجل الشارع واسرعت بتطور الاحداث الثورية .

وفي الساعات الحاسمة من يوم ١٨ آذار عام ١٨٧١ حاول « **القزم العملاق** » تيير ــ رئيس الحكومة التي تكونت من خلال الجمعية الوطنية المعادية للشعب عداء عميقا ــ أن يجرد الحرس الوطني من سلاحه ، وكرد على هذا الاستفزاز انفجر عصيان مسلح تلقائي في باريس ، وفي ذلك اليوم نفسه ، كان الثوار قد استولوا على جميع المكاتب الحكومية ، ورفعوا علم الثورة البرولتيارية الاحمر على قاعة المدينة ، وهرب تيير ووزراؤه الى فرساي ، واستولت اللجنة المركزية للحرس الوطني على العاصمة ، وكان الحرس مكونا من عمال وصغار موظفين ، وكانت الحكومة

التي تكونت عندئذ أول حكومة للطبقة العاملة في التاريخ تستند الى قوى الشعب الثورية .

ولقد استفاد تيير من الاخطاء التكتيكية التي ارتكبتها تلك الحكومة اذ لم تفلح في تنظيم هجوم مباشر ضد فرساي ، مما أعطى تيير وقتا كافيا لدعم جيش الثورة المضادة .

لقد تمت الانتخابات للكومونة في يوم ٢٦ آذار ، واعلن تكوينها في ٢٨ آذار نفسه وسط فرحة شعب باريس الغامرة ، ولم يأت يوم ٢ نيسان حتى كان جيش فرساي بتأييد الالمان البروسيين يبدأ حربا أهلية ضد باريس الثورة .

ولقد بدأت كومونة باريس تمارس نشاطها تحت اصعب الظروف في مدينة محاصرة وتحت وطأة الحرب الاهلية ، وكان على العمال وممثليهم القانونيين أن يحكموا بينما هم يتعلمون أصول ادارة حكمة الدولة ، ولقد نجحوا في هذه المهمة التاريخيةبكفاءة رغم قصر الوقت الذي لم يمنحهم الفرصة لتحقيق الكثير .

الموقف من جهاز الدولة

وديمقراطية من نوع جديد

لقد كانت الميزة التاريخية الرئيسية للكومونة باريس انها حطمت آلة الدولة القديمة تلك الآلة التي كانت تخدم أهداف المستغلين ، وأقامت مكانها دولة جديدة كان عليها أن تكون في خدمة الشعب ، ولاول مرة في التاريخ حاول عمال باريس ان يقيموا دولة على نمط جديد ـ دولة دكتاتورية البروليتاريا ، لقد الغت الكومونة الجيش النظامي الذي كان منعزلا عن الشعب

ومعاديا له وحل بدلا منه جيش الشعب المسلح ، كذلك قامت الكومونة بتصفية البوليس ، وأخذت وحدات من انصار الكومونة على عاتقها مهمة القيام بحراسة المدينة ، كما رفض انصار الكومونة مبادىء البورجوازية عن الحياة البرلمانية التي تفصل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية ، فكان مجلس الكومونة ــ كجهاز انتخابي يجمع بين الوظيفة التشريعية ، والوظيفة التنفيذية ، وعندما واجه أنصار الكومونة عصيان موظفي الدولة القديمة انشأوا وظائف جديدة بدلا من الجهاز البيروقراطي يشغلها موظفون من صفوف الشعب وتربطهم به وشائج متينة ، وأصبح الموظفون الرسميون يخضعون لعملية انتخابية ، وعليهم أن يقدموا بيانا عن الاعمال التي يؤدونها الى الشعب ، ويمكن أن يحل محلهم موظفون في اي وقت ، وتوقفت البيروقراطية عن أن تكون طبقة متميزة من المديريين والاداريين ، فقد وضع الموظفون تحت رقابة الشعب ، كما تم فصل الكنيسة عن الدولة .

ولقد منحت كومونة باريس الشعب من الحريات الديموقراطية مالم يسبق له مثيل تحت اي نظام سابق في التاريخ البشري ، ونتيجة لهذا زاد النشاط السياسي الذي تمارسه الجماهير زيادة سريعة ، ولقد ايدت الاتحادات المهنية الكومونة تأييدا عظيما كما زاد عدد هذه الاتحادات بشكل ملحوظ بعد أن انضمت اليها نواد ثورية دولية ومنظمات نسائية بالاضافة الى التجمعات الجماهيرية ، وقامت هذه الاتحادات بمناقشة مشروعات القوانين ، كما كانت تقوم بتقديم الاقتراحات والالتماسات الى مجلس الكومونة . وساعدت على وضع تلك المقترحات والالتماسات موضع التنفيذ ، كذلك الغت الكومونة العمل الليلي في عديد من المشروعات ، بالاضافة الى الغرامات والخصومات غير المشروعة ، وانقصت من ساعات العمل ، ووافق مجلس الكومونة على قرار باعادة النظر

في الاتفاقيات المتعددة بين المقاولين لصالح العمال ، وفرض حد ادنى للاجور بالنسبة للعمال الذين ينفذون أوامر الحكومة ، كما زيدت أجور صغار الموظفين .

الغت الكومونة جميع ديون الايجار لصالح الفئات العريضة من الشعب ، كما أعادت الى الفقراء املاكهم التي كانوا قد رهنوها ، وانشأت المكاتب التي تعمل على ايجاد الوظائف للعاطلين وبعد تحويل المدارس الى مؤسسات علمانية عمل انصار الكومونة على **ادخال التعليم الاجباري والمجاني ، ثم زادوا أجور المعلمين واتخذوا الاجراءات اللازمة لاقامة المكتبات والمتاحف والمسارح التي تكون في متناول يد الجماهير** . لقد كانت هذه الاعمال سياسة ديموقراطية اضفت تحسينا ملموسا على ظروف العمال وصغار الملاك ووسعت من حقوقهم ، وزادت من اثرهم في الحياة الثقافية والاجتماعية .

ولم يتعمد ثوريو عام ١٨٧١ ادخال الانظمة الاشتراكية بطريق مباشر . رغم انهم أعلنوا ان تصفية **« استغلال الانسان للانسان هو آخر شكل من أشكال العبودية »** هي هدفهم النهائي، ولم يكن من الماركسيين الحقيقيين بين قادة الكومونة من هم على وعي واضح بالمعنى العميق للثورة التي اندلعت ، وعلى العكس من ذلك كان العديد من قادة حكومة العمال هذه يعتنقون نظريات الاشتراكية السابقة على الماركسية ، وهي النظريات التي تسببت في تشويش فكر أكثر الثوريين شجاعة واخلاصا ، وحرفتهم عن الطريق الصحيح ، ومع هذا فقد حركت التطورات التي حدثت ، وفي مقدمتها مشاركة الطبقة العاملة الفعالة في نشاط الكومونة ، حركتها الى دعم التحولات الاشتراكية رغم النظريات الخاطئة التي كان يعتنقها قادتها .

بين الفريزة التلقائية
والوعي الطبقي

ولقد كان قانون ١٦ نيسان ذا أهمية عظمى ، فبمقتضاه وضعت جميع المحلات التي فر أصحابها الى باريس تحت ادارة مؤسسات العمال . وهكذا صودر حوالي اثني عشر مشروعا لانتاج السلاح ، وتقرر ان يشرف العمال على محال الاسلحة في اللوفر ، ولقد أطلق لينين على هذه الاجراءات تعبير « جسور بين الراسمالية الى الاشتراكية » . هـذه الاشتراكية التي كانت الكومونة تشيدها « باللمس » متوخية غريزة الجماهير المرهفة ، وهي الفريزة التي لم يتح للكومونة الوقت الكافي لدعمهاوتثبيتها.

لقد كانت تجربة الكومونة الاولى من نوعها ولم يكن هنـاك مناص من وقوع بعض الاخطاء كما يحدث دائما في اية بدايةجديدة. **ان الكومونة لم تستطع تامين وصيانة وحدة بروليتارية باريس مع طبقة الفلاحين ، ولم تقم بايجاد الصلات الكافية مع المدنالفرنسية الاخرى ،** رغم الجهود المبذولة في عدد من هذه المدن مثل مارسيليا وليون وسانت اتيين وغيرها ، لاقامة كوموناتها الخاصة بها على نسق نموذج باريس ، **ومن بين الاخطاء الفادحة التي وقعت بهـا كومونة باريس ما كان من رفض مصادرة أموال البنك الفرنسي، وكذلك عدم الدقة في التنظيم العسكري** وغياب النظام الصارم في الحرسالقوميوتطبيقالتكتيك الدفاعي وتفخيمالاعداءالالداءللثورة.

كل هذه العثرات والاخطاء في التقديرات كانت ترجع أساسا الى عدم نضج الحركة العمالية ، لقد كانت هناك خلافات لاتنتهي في مجلس الكومونة نفسه في لجانه المختلفة بين ممثلي المجموعتين

السياسيتين الرئيسيتين وهما « الاغلبية » (التي تتكون من انباع بلانك واليعاقبة الجدد) و « الاقلية » (البرودونيين) ولقد اضعف غياب التنظيم المناسب والحزم والحسم ، الكومونة في وجه أعدائها .

ولقد وصل الى علم قوات فرساي في ٢١ أيار أن بوابات سانت كلود لا يقوم على حراستها أحد ، وقامت باختراقها الى باريس . وكان هذا بداية « اسبوع أيار » المأساوي وهو ثمانية أيام من معارك الشوارع الدامية ، ولقد قاتل أنصار الكومونة بشجاعة منقطعة النظير ، وصمدوا حتى آخر رمق ، وحاربوا من شارع الى شارع ، ومن بيت الى بيت واشترك في هذه المعارك النساء والشباب وحتى الاطفال جنبا الى جنب مع رجال الحرس الوطني ، ولقد حفرت مواقف البطولة ومعجزات الاخلاص الثوري التي اظهرها انصار الكومونة في ذلك الوقت بحروف من ذهب في تاريخ البروليتاريا الفرنسية ، وفي ٢٧ أيار ، وبعد معركة وحشية ـ قضت قوات فرساي المعادية للثورة على آخر المدافعين عن كومونة باريس ، وانهار آخر المتاريس في ٢٨ أيار . وقد استشهد ثلاثون الفا من المحاربين الشجعان كأبطال في معارك المدن .

لقد اصاب الهلع البورجوازية من الكومونة الى الدرجة التي تحولت معها الى وحش كاسر يتلحظ الثأر ، لقد قتلت قوات فرساي كل فرد سواء كان رجلا أو امراة أو شابا أو طفلا دون رحمة ، ونجم عن الاذلال الذي لاقاه أنصار الكومونة أن خلت اجزاء من المدينة تماما من السكان ، لقد أطلق الرصاص على عدة آلاف من المحاربين ، ومن نجا من الموت القى به في السجون ، أو

صدرت ضده احكام بالسجن في سجون المستعمرات التي كان المسجونون فيها يربطون بالسلاسل .

الشروط الموضوعية والذاتية لنجاح الثورة

لقد عاشت أول سلطة للعمال في التاريخ مدة عشرة اسابيع فحسب ، ويرجع سقوطها الى عدم وجود الدوافع الموضوعية أو الذاتية التي تعمل على دعم وتطوير النجاح الباهر الذي احرزته الجماهير الثورية في العاصمة الفرنسية ، وهو النجاح الذي حققته هذه الجماهير في ١٨ آذار ١٨٧١ . ففي المواجهة التي تمت ضد القوات المتفوقة للعدو ، قوات فرنسا والبروسيين — لم يستطع عمال وشغيلة باريس أن يحرزوا النصر رغم بطولاتهم الفذة ،ويبدو انه كان يجب أن يتوافر — كما قال لينين — شرطان على الاقل ليتحقق النصر التام والدائم للكومونة . هذا الشرطان هما التطور العالي لقوى الانتاج وتأهب البروليتاريا ، والحقيقة ان راس المال الفرنسي لم يكن قد أحرز تطورا كافيا ، ولم تكن فرنسا في مجملها بلدا للبورجوازية الصغيرة ، ولم يكن يوجد حزب للعمال ، وكذلك لم يتم اعداد الطبقة العاملة ، أو تدريبها لمدى طويل ،كما أن هذه الطبقة لم تبين بوضوح المهمة التي كانت ستواجهها ووسائل تحقيقها .

لقد كانت كومونة باريس قمة المعارك التي خاضتها الطبقة البروليتارية في القرن التاسع عشر ، وتبدأ مرحلة نضوج الحركة العمالية الدولية بتاريخ كومونة باريس ، ويبدو أن انصار الكومونة الذين ضربوا كثيرا من أمثلة التضحية في سبيل النصر المأمول للاشتراكية ، قد أزاحوا الفطاء الذي كان يحجب الومضات الخاطفة لمستقبل الجنس البشري.

ولقد اثبتت ثورة ١٨ آذار ١٨٧١ حيوية التعاليم الماركسية عن الحاجة الى تحويل البروليتاريا الى الطبقة السائدة عن طريق الوصول الى السلطة السياسية ، وللمرة الاولى في المجال العملي اوضحت الكومونة الكثير من القوانين البالغة الاهمية ، وكذلك سمات وخصائص الثورة الاجتماعية التي تحققها البروليتاريا بهدف تحرير جميع المضطهدين من العبودية الموروثة ، والواقع ان الثورة بنيت هذه الحقائق في مرحلة غير متطورة ، تاركة للاجيال القادمة مهمة استكمال ما بدأته الكومونة .

سلطة الدولة في

الممارسة الثورية

واول واهم ما أوضحته كومونة باريس الطرق والوسائل المؤدية الى حل القضية الاساسية في الثورة الاجتماعية ، قضية سلطة الدولة التي تؤسسها البروليتاريا ، فبظهور الكومونة لم تعد قضية خلق دولة بروليتارية مجرد مفهوم نظري طرحه كارل ماركس وفردريك انجلز ، لقد انتقلت هذه القضية – في عام ١٨٧١ الى ارض الممارسة الثورية ، وجرى عليها الاختبار بالتجربة الثورية .

لقد اثبت انصار الكومونة ما تنبأ به ماركس منذ عام ١٨٥٢ وهو ان مهمة الثورة القادمة ستكون تحطيم جهاز الدولة البورجوازية وليس مجرد نقله الى اشخاص جدد ، لقد أضحى تحطيم جهاز الدولة المنتمي للطبقات المستغلة واحدا من المهام المحورية لجميع الثورات الاشتراكية منذ قيام كومونة باريس .

كذلك اظهرت الكومونة – في نفس الوقت – ما يجب ان يحل

محل جهاز الدولة البورجوازية بعد تحطيمه والشكل الذي يتحتم على الدولة أن تتخذه أساسا لها ، انها دولة لاتخدم المستبدين وانما تقوم على خدمة الشعب العامل ، الشعب الذي يمارس العمل المتحرر من اغتصاب الراسماليين ، ورغم أن هذا الشكل للدولة الذي أقامه انصار الكومونة حمل طابع ذلك العصر ولم يكن مكتملا ، الا انه قد دخل التاريخ كمثال يحتذى لبناء الدولة الذي تقيمه الطبقات الثورية .

ولقد أثبتت كومونة باريس صحة ما وصل اليه مؤسسو الماركسية من ضرورة وجود حزب سياسي ثوري مستقل للبروليتاريا ، قادر على قيادة البروليتارين الى النصر على المستبدين . وثبت هذا من تجربة الهزيمة المفجعة التي منيت بها الكومونة .

يقول شارل لانغ في مؤتمر الاممية المنعقد في لاهاي عام ١٨٧٢ « لو أننا نملك تنظيما عماليا سياسيا ، لاستطاعت الكومونة صد الهجوم وتعزيز مواقعها في باريس وبرلين ، لقد سقطت الكومونة بسبب عدم وجود التنظيم » .

لقد كانت الكومونة نتاجا خالدا للطبقة العاملة من نواح اخرى ، فقد طرحت قضية ارتباط المهام الديمقراطية والاشتراكية للثورة البروليتارية رغم انها لم تحل هذه القضية حلا تاما لقصر عمرها ، لقد كشف تاريخ الكومونة عن الحاجة الى اتحاد متين يتحقق بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، والى زعامة البروليتاريا لجميع القوى المشاكسة في الثورة ، لقد علّمت تجربة ١٨٧١ البروليتاريا الثورية ، الاهمية القصوى لتحديد موقفها من السياسة التخريبية للبورجوازية التي ترتكز على فكرة الدفاع عن ارض

الآباء ، بينما هي تخون – في الواقع – المصالح القومية وتضحي بها على مذبح مصالحها الانانية .

جنين الاممية

الاولى

وأخيرا لقد لقنت الكومونة الحركة العمالية درسا في التكتيك الثوري بما أبداه البروليتاريون من التضامن الاممي في عام١٨٧١ والربط بين الوطنية الثورية وبين الاممية العالمية . وكانتالكومونة – كحكومة قومية وخالصة لفرنسا – ذات صفة أممية عميقة في الوقت ذاته ، فقد أعلنت رفضها للنزعة العسكرية وللحروب العدوانية ، وأكدت مساندتها للكفاح من أجل جمهوريةاشتراكية عالمية ، وحاربت شخصيات اشتراكية وديمقراطية مرموقة مندول اخرى في صفوف أنصار الكومونة ، وبذلك كانت كومونة باريس بحق وليدا روحيا للامية الاولى وتتويجا عمليا لمبادئها ، كما ذهب اثرها العميق الى الحركة الاشتراكية في كل مكان ، فقد قاد المؤتمر العام للامية حملة واسعة لتأييد الكومونة ، وهذا ما تثبته الوثائق التي نشرت في هذا الوقت ، لقد اجتاحت المانيا وسويسرا والنمسا والمجر وبلجيكا وبلدان اخرى موجة عاتية من مظاهرات التضامن مع كومونة باريس ، وتحدث **أوغست بيبل** في المانيا من فوق منصة الرايخستاغ دفاعا عنها ، كما حيا الاشتراكي البلغاري **خريستو بوتيف** .

دروس الكومونة
والتعميمات العلمية النظرية

وشارك كارل ماركس وفردريك انجلز مشاركة فعالة في

أحداث عام ١٨٧١ وأبديا اعجابهما ببطولة انصار الكومونة ،أولئك الذين كانوا على استعداد « لغزو السماء » ، ولقد تبادل ماركس الرسائل مع مقاتلي باريس المحاصرين ، وقـدم للكومونة العون - من خلال الرسل الذين كان يبعث بهم - عن طريق النصـح العملي ، كما أبدى اهتماما كبيرا بأنصار الكومونة النازحين وأحاطهم برعايته .

وتابع ماركس وانجلز نضال الكومونة عن كثب وواصـلا دراسة تاريخها بعد هزيمتها باذلين الجهد ليجعلا ما يصلان اليـه من نتائج يستقر في وعي الجماهير البروليتارية ، وارسل ماركس مئات الرسائل الى قادة الحركة العمالية في عديد من البلاد ،عالج فيها أهمية الكومونة التاريخية . كما وضع كتابه الشهير « الحرب الاهلية في فرنسا » الذي يكشف عن شغف ببحث أوضاع قيام وسقوط كومونة باريس ، وفيه كشف النقاب عن الصفة الطبقية لهذه الكومونة ، وعن مغزاها التاريخي ، وبين عظمتها كحركة رائدة تبشر بمجتمع جديد ، وكتاب ماركس هذا درسا عن الكومونـة « والمقدمة » التي كتبها فردريك انجلز عن « الحرب الاهلية في فرنسا » بعد عشرين عاما ، كلها نماذج للتعليمات العملية النظرية للاحداث الثورية للكومونة ، تلك التعميمات التي كان الهدف منها ترسيخ استراتيجية وتاكتيك البروليتاريا والتوسع فيهما .

بعد هذه الدراسة من قريب لتاريخ كومونة باريس يصف كارل ماركس في كتابه « الحرب الاهلية في فرنسا » سمات أول حكومة للعمال ويشير الى اهميتهـا التاريخية كشكل سياسي يمكن أن يتحقق في ظله التحرر الاقتصادي . وواصل شرح مذهبه عن الصراع الطبقي ، وعن الدولة ، وعن الثـورة البروليتارية ، ودكتاتورية البروليتاريا ، ولم يقف في تجربة الكومونة عند حـد

العثور على ما يثبت صحـة ماوصل اليه حيال مهام البروليتاريا في الثورة ، وانما وجد اجابة مباشرة لقضية الشكل الذي يجب أن تتخذه دكتاتورية البروليتاريا بما يتفق مع مضمونها الطبقي ورسالتها التاريخية ، اي أن تكون الاداة التي تحقق بناء مجتمـع لا طبقي ، ولقد وصل ماركس الى أن هذه الدولة لابد أن تكون من نفس الشكل الذي كانت عليه كومونة باريس ، وتـوسع في الفرضية الشهيرة التي تقول « تقع بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الشيوعي مرحلة التحول الثوري من النظام الاول الى النظام الثاني، وتقابل هذا أيضا مرحلة انتقال سياسية لا يمكن أن تكون الدولة خلالها سوى دكتاتورية البروليتاريا الثورية » .

وعندما قام انجلز ـ بعد ذلك بفترة ـ بتقييـم الاهميـة التاريخية للكومونة كتب يقول : « هل تريدون أن تعرفوا ـ أيها السادة الاعزاء كيف تبدو هذه الدكتاتورية ؟ فلتلقـوا اذن نظرة على كومونة باريس ، لقد كانت هذه هي دكتاتورية البروليتاريا» .

ان قضية الكومونة هي قضية مقدسة . وكما قال لينين فان هذه القضية « تعيش حتى يومنا هذا في قلب كل واحد منا »لانها قضية الثورة الاشتراكية ، ثورة التحرير السياسي والاقتصادي الكامل للكادحين ، انها قضية البروليتاريا في جميع أرجاء العالم، وبهذا المعنى فهي قضية خالدة » .

الكومونة في كتاب
« الحرب الاهلية في فرنسا »

الحرب الاهلية في فرنسا عمل من أهم الاعمال العلمية الشيوعية . وقد كتب حول تجربة كومونة باريس . وتطورت فيه الفرضيات الماركسية الرئيسية بشأن الصراع الطبقي ، والدولة ، والثورة ، وديكتاتورية البروليتاريا .

ومنذ الايام الاولى لكومونة باريس فقد قام كارل ماركس بجمع ودراسة كل المعلومات حول نشاطها ، ووثائقها المادية من قبل الصحافة الفرنسية والانكليزية والالمانية،ومن الرسائل الواردة من باريس الخ . وفي اجتماع المجلس العام في ١٨ نيسان ١٨٧١ اقترح على المجلس أن يصدر خطابا خاصا الى كل أعضاء الاممية بشأن « الاتجاه العام للنضال » في فرنسا . وكلف بكتابة مسودة لهذا الخطاب . وبدأ العمل بعد ١٨ نيسان واستمر فيه طوال شهر أيار . وكتب الموجز الاول والثاني من الحرب الاهلية في فرنسا كتمهيد للعمل . وبعد ذلك تابع كتابة النص النهائي . وفي ٣٠ أيار ١٨٧١ أي بعد يومين من سقوط آخر متراس في باريس ، وافق المجلس العام بالاجماع على النص النهائي للحرب الاهلية في فرنسا الذي قرأه ماركس عليه .

نشر الحرب الاهلية في فرنسا أول مرة في لندن بتاريخ ١٣ حزيران ١٨٧١ ، وباللغة الانكليزية . وقد نفذت نسخ الطبعة الاولى ثم صدرت الطبعة الانكليزية الثانية بسعر أرخص لكي يباع

للعمال . وفي الطبعة الثانية صحح ماركس بعض الاخطاء المطبعية التي وقعت في الطبعة الاولى واضاف وثيقة أخرى الى « ملاحظات » القسم .

وصدرت الطبعة الانكليزية الثالثة في شهر أب ١٨٧١ وفيها صحح ماركس بعض التصحيحات التي اكتشفت في الطبعات الاولى .

وفي عام ١٨٧١ و ١٨٧٢ ترجم كتاب الحرب الاهلية في فرنسا الى اللغات الفرنسية ، والالمانية ، والروسية ، والاسبانية ، والهولندية ونشر في دوريات وفي طبعات متفرقة في مختلف بلدان أوربا والولايات المتحدة .

وقام بالترجمة الالمانية انجلز وظهرت في صحيفة Volksstaat الحياة لسان حال حزب العمال الديموقراطي الاشتراكي الالماني . وفي حزيران وتموز ١٨٧١ نشر العمل في خلاصة مختصرة في صحيفة der vorbote ، لسان حال الاقسام الالمانية في الاممية في سويسرا ، وظهر في أب وتشرين أول ١٨٧١ وفي كتيب في ليبزيغ . وعندما ترجمه انجلز قام ببعض التبديلات الهامة القليلة في النص .

وفي الذكرى الخامسة لكومونة باريس في ١٨٧٦ ظهرت طبعة المانية جديدة مع بعض المقاطع الدقيقة الهامة .

وفي عام ١٨٩١ هيئت طبعة المانية للحرب الاهلية في فرنسا بمناسبة الذكرى العشرين لكومونة باريس ، ومرة ثانية حرر انجلز النص الذي ترجمه وكتب لــه مقدمة .

أول مرة نشر العمل في اللغة الفرنسية كانت في صحيفة الاممية صحيفة الاقسام البلجيكية للاممية وذلك في بروكسل من تموز الى ايلول ١٨٧١ . ثم ظهرت طبعة منفردة في بروكسل عام ١٨٧٢ بترجمة حررها ماركس ، الذي قام بعدة تبديلات في البروفات وترجم عدة مقاطع .

وأول طبعة روسية لكتاب الحرب الاهلية في فرنسا الذي أصبح أساسا لسلسلة متتالية من الطبعات ، ظهرت في زيوريخ عام ١٨٧١ . وفي عام ١٩٠٥ ظهرعمل الحرب الاهلية في فرنسا بالروسية برئاسة تحرير لينين وذلك ترجمة عن النص الالماني لطبعة عام ١٨٩١ .

كتب انجلز « لقد كانت الكومونة بلا شك وليد الاممية الروحي » .

وفي ايلول ١٨٧٠ كتب انجلز الى ماركس يقول : « اذا كان بالامكان عمل شيء في باريس ، فيجب ان يكون منع العمال من القيام بأي عمل قبل توقيع السلام ... فسوف تحطمهم الجيوش الالمانية وسيعودون عشرين عاما الى الوراء » .

لقد كانت الكومونة أول محاولة في التاريخ لتحطيم جهاز الدولة القديم واقامة ديكتاتورية البروليتاريا . وقد كتب انجلز فيما بعد يقول : « كان على الكومونة أن تدرك منذ البداية أن الطبقة العاملة عندما تستولي على السلطة ، لا تستطيع الاستمرار بالحكم عن طريق جهاز الدولة القديم ، وان الطبقة

العاملة يتعين عليها ، حتى لاتفقد التفوق الجديد الذي كسبته، ان تتخلص من كل جهاز الاضطهاد القديم الذي استخدم ضدها، كما يتعين عليها من الناحية الاخرى كي تؤمن نفسها ضد نوابها ومسؤوليتها أن تعلن انهم قابلون للتغير والتبديل دون استثناء وفي أي وقت » .

(مقدمة الحرب الاهلية في فرنسا)

■ اصبحت باريس في ١٨٧١/٣/١٩ تحت سيطرة الثورة كاملة . لقد خرجت الحكومة وتركت وراءها فراغا سياسيا . وكان لابد للجنة المركزية من أن تحكم .

■ كان برونيل يصر على الزحف على فرساي واعتقال حكومة الخيانة الوطنية .

■ كان من اول قرارات الكومونة تعيين لولير قائد عسكري للحرس الوطني ، بدلا من برونيل . ولولير هو ضابط سابق في البحرية طرد لسوء سلوكه . سيطرت على لولير فكرة أن الحكومة ستقوم بهجوم مفاجىء على الاوتيل دي فيل خلال الممرات الارضية .

■ « كان يجب الزحف فورا على فرساي ــ التي لم تكن تملك اذ ذاك وسائل للدفاع ــ والقضاء نهائيا على مؤامرات تيير ومجلسه المؤلف من الملاكين العقاريين » .

(ماركس الحرب الاهلية في فرنسا ص ٦٥)

■ « ان البروليتاريا بدلا من تدمير خصومها سعت لتمارس تأثيرا اخلاقيا عليهم ، انها لم تقدر اهمية العمليات العسكرية المباشرة في الحرب الاهلية حق قدرها ، وبدلا من شن هجوم حازم ضد فرساي يكلل انتصارها في باريس ، تلكأت واعطت حكومة فرساي الوقت لتحشد القوى السوداء ولتهيء لاسبوع ايار الدامي » .

(لينين : المؤلفات الكاملة موسكو (باللغة الانكليزية)

م ١٣ ص ٤٧٦

■ « امام تهديد انتفاضة البروليتاريا فان الطبقة المالكة المتحدة استخدمت سلطة الدولة بشراسة ووقاحة كأداة حرب قومية لراس المال ضد العمل (...) وكانت الامبراطورية الثانية النتيجة الطبيعية لحزب النظام . ادعت هذه الامبراطورية ، التي كان الانقلاب شهادة ميلادها ، الاقتراع العام تأشيرتها والسيف صولجانها ، تزعم بأنها تعتمد على الفلاحين (...) الذين لم يكونوا منخرطين مباشرة في الصراع بين راس المال والعمل . وزعمت بأنها باجهازها على البرلمانية ومن ثم خضوع الحكومة السافر للطبقات المالكة قد انقذت الطبقة العاملة ، وزعمت بأنها انقذت الطبقات المالكة بابقاء سيطرتها الاقتصادية على الطبقة العاملة ، وزعمت اخيرا بأنها وحدت كل الطبقات بأن احيت لها جميعا الوهم الكاذب للمجد القومي . لقد كان ذلك في الواقع الشكل الوحيد الممكن للحكم ، في حقبة فقدت فيها البورجوازية ــ ولم تمتلك الطبقة العاملة بعد ــ القدرة على حكم الامة . (...) في ظل حكمها (...) بلغت الصناعة والتجارة نسبا عملاقة

واقامت المضاربات المالية والولائم الكسموبوليتية . امـا بؤس الجماهير فقد كان يقابل على نحو صارخ العرض الوقح للتـرف الباذخ المصطنع والمغشوش . **سلطة الدولة التـي كانت تبـدو وكأنها تحلق عاليا فوق المجتمع ، كانت في الواقع وعمليا هي نفسها اكبر فضائح هذا المجتمع** . وكانت بذات الوقت حجر كل مفاسده . ان حراب بروسيا عرت عفونة الامبراطورية الثانية وعفونة المجتمع الذي انقذته .

(كارل ماركس . الحرب الاهلية في فرنسا)

« كم هو لاذع للسيد تيير : بينما كـان هو يمطر نياشين الشرف على جنرالات بونابرت تقديرا لمهارتهم في خسران المعارك، توقيع الاستسلام ولف السجائر في (الاسر) فان الكومونة كانت تعزل وتعتقل جنرالاتها حالما تشتبه بتقصيرهم في أداء واجبهم ».

الحرب الاهلية في فرنسا المختارات ص ٢ ص ٢٠٤

لقد اصدرت اللجنة المركزية الحرس الوطني في العشرين من آذار قرارا بتأجيل دفع الحوالات وفي ١٨ نيسان الغت الكومونة الى الابد دفع الديون المستحقة « لم يكن هذا هو السبب الوحيد الذي دفع بالطبقة الوسطى الى صفوف الطبقة العاملة المنتفضة بل لانها أيضا أراحتها من كل مظاهر الفساد التي كانت تعج بهـا الامبراطورية المنهارة » .

الحرب الاهلية في فرنسا المختارات
ماركس

« كان الفلاح الفرنسي ينتظر من الكومونة أن تحرره من الضرائب ، أن تمنحه حكومة قليلة النفقات ، أن تريحه من مصاصي دمائه : من عدول منفذين ، من محامين وكتبة الى آخر العفاريت الادارية التي تثرى على حسابه، اذ أن الكومونة كانت ستبدلهم بموظفين منتخبين من طرفه ومسؤولين امامه وقادر على عزلهم متى تجاوزوا حدود وظائفهم وكانت ستحرره من النواطير ، من الدرك ومن رؤساء المحافظات . وكانت ستمكنه من تعليم أطفاله في مدارس عصرية متحررة من غباوات الكهنة . تلك المزايا المباشرة التي كانت تنتظر الفلاحين الفرنسيين من سلطة الكومونة » .

الحرب الاهلية في فرنسا المختارات

« اذا كانت الكومونة أداة التمثيل الحق لكل العناصر السليمة في المجتمع الفرنسي وبالتالي للحكومة القومية حقا ، الحكومة العمالية حقا ، وبهذا العنوان ، وبصفتها بطلا مقداما لتحرير العمل ، فقد كانت ايضا الحكومة الامية حقا . اذ انها تحت انظار الجيش البروسي الذي ضم الى المانيا محافظتين فرنسيتين (الالزاس واللورين) كانت هي تضم الى فرنسا عمال العالم قاطبة ... كانت الامبراطورية الثانية عيدا للنصب العالمي فقد لبى نداءها النصابون من كل الاصقاع ليشتركوا في ولائمها المتهكتة وفي نهب الشعب الفرنسي (...) اذا كان الساعد الايمن للسيد تيير هو جومسكو الفالك ، الغشاش الحقير ، وساعده الايسر هو مادكوفسكي ، الجاموس الروسي ، فان الكومونة قد أتاحت لكل الاجانب شرف الموت في سبيل قضية

لا تموت (...) فلقد نصبت عاملا المانيا(١) وزيرا للعمل فيها ، كما أتاحت لابني بولونيا البطلين (الجنرال دومبروفسكي وفروبليفسكي) شرف ان يكونا على راس المدافعين عن باريس ».

■ « البطولة المتفانية التي قاتل بها شعب باريس ــ رجالا، نساء واطفالا ــ طوال ثمانية أيام بعد دخول جنود فرساي ، تعكس عظمة وجلال قضيته تماما كما تعكس المآثر الجهنمية للعساكر الحقراء والروح الفطرية لهذه الحضارة ــ التي قال عنها تيير بأنها انتصرت اليوم ــ والتي هم مرتزقها والذائدون عنها . بالعظمة هذه الحضارة التي كانت مشكلتها الكبرى بعد انتهاء المعركة ، كيف تتخلص من اكوام الجثث التي اغتالتها » .

الحرب الاهلية في فرنسا المختارات
المجلد الثاني

« لكي نجد نظيرا لتصرف تيير وكلابه الدموية فان علينا أن نعود الى الوراء في التاريخ ، الى عهد Sylla الديكتاتور الدموي الذي حكم روما ٧٩ ــ ٨٢ ق.م ــ والحكومتين الثلاثيتين في روما ــ حكومتا القادة العسكريين ٦٠ ، ٥٣ و ٤٣ ، ٣٦ ــ نفس المذابح بالجملة التي تنفذ بدم بارد ، نفس لامبالاة الجلادين في المجزرة ازاء سن وجنس الضحايا ، نفس نظام تعذيب الاسرى ونفس الملاحقات ، لكنها هذه المرة موجهة ضد طبقة بأسرها. (...) هناك فرق وحيد : لم يكن الرومانيون يمتلكون رشاشات لافناء

---

(١) يقول الصديق العفيف الاخضر ان الكومونة وضعت فرانكل وهو مجري على راس « لجنة العمل والتبادل » ولم يكن في الكومونة وزراء .

الحرب الاهلية في فرنسا المختارات جـ ٢

الاسرى بالجملة ، ولم يكن « القانون بأيديهم » ولا على شفاههم شعار « الحضارة » .

نفس المصدر السابق

■ « لقد تآخى ، بعد أفظع حرب في العصور الحديثة المغلوب والغالب لينكلا معا بالبروليتاريا ، ان هذا الحدث الذي لم يسبق له مثيل يبرهن ، لا كما يظن بسمارك ، على السحق النهائي للمجتمع الجديد الصاعد ، بل على الانحلال الشامل للمجتمع البورجوازي الهرم . فان اكبر جهد بطولي يستطيع المجتمع القديم الاقدام عليه هو الحرب القومية .

وقد أقيم البرهان الآن على أن هذا ليس الا تضليلا محضا من الحكومات مرصود لتعويق الصراع الطبقي لا يلبث أن يتناثر هباء حالما ينفجر الصراع الطبقي حربا اهلية . السيطرة الطبقية لا تستطيع بعد اليوم ان تتستر تحت بزة قومية . الحكومات البورجوازية القومية **يد واحدة** ضد البروليتاريا » .

الحرب الاهلية في فرنسا
ص ٢٢٤ ـ المختارات ج ٢

« ان مؤامرة الطبقة الحاكمة للاطاحة بالثورة عن طريق الحرب الاهلية كان يزكيها المحتلون الاجانب الذين تآخوا مع المهزومين ليشتركوا في سفك دماء البروليتاريا » .

الحرب الاهلية في فرنسا

■ « سر الكومونة الحقيقي هو انها اساسا حكومة الطبقة العاملة ومحصلة صراع طبقة المنتجين ضد طبقة المالكين ، والشكل

السياسي الذي عثرنا عليه اخيرا والذي يسمح ـ لو استمر ـ بتحقيق التحرير الاقتصادي للعمل » .

(كارل ماركس)

■ « من خلال عجز وخيانة الطبقات الحاكمة أدرك بروليتاريو باريس أن ساعة انقاذهم للموقف قد أزفت » .

■ « البوليس الذي كان أداة قمع في يد الحكومة الغي فورا ، الانتخاب الشعبي العام أصبح المبدأ الوحيد في اختيار الموظفين الذين يستطيع الشعب أن يعزلهم في أية لحظة . واصبح الجميع من أعلى الى أسفل ، من اعضاء الكومونة الى اي موظف صغير يتقاضون **أجرة تساوي أجرة عامل** ... بعد القضاء على الجيش الدائم والبوليس وهما أداتا السلطة المادية في يد الحكومة القديمة، شرعت الكومونة فورا في تحطيم اداة القمع الروحي : سلطة الكهنة. فأرسلت الكهنة الى هدوء الحياة الخاصة في الأديرة ليعيشوا فيها على صدقات المؤمنين على غرار اسلافهم الرسل ، فتحت جميع مؤسسات التعليم مجانا للشعب وفي نفس الوقت خلصت التعليم من تدخل الكنيسة والدولة (...) والقضاة أصبحوا ، مثل كافة الموظفين ، يختارون بالانتخاب وقابلون للعزل (...) وكانت الكومونة ستصبح حتما نموذجا يحتذى لجميع المراكز الصناعية الكبرى في فرنسا . لو استقر نظام الكومونة (...)لتخلت الحكومة المركزية القديمة في المحافظات عن سلطاتها لحكومة المنتجين انفسهم (...) كانت الكومونة ـ لو استمرت ـ ستصبح الشكل السياسي لأصغر قرية في الريف حيث سيعوض الجيش الدائم

بميليشيا شعبية تكون مدة الخدمة فيها قصيرة جدا . وكان على الكومونات الريفية في كل محافظة أن تدير الشؤون العامة بواسطة مجلس (شعبي) متكون من الممثلين (المنتخبين) لكل قرية في المحافظة . وكان على هذه المجالس (الشعبية) في المحافظات أن ترسل نوابا الى المجلس (الشعبي) الوطني الذي ينعقد في باريس (...) وحدة الامة لم تكن ستنفصم عراها بل بالعكس كانت ستنظم بالدستور الكوموني . ان وحدة الامة كانت ستصبح حقيقة بتحطيم سلطة الدولة التي كانت تزعم انها تجسيد لهذه الوحدة ، لكنها كانت تريد أن تكون مستقلة عن الامة ومستعلية عليها ، بينما هي لم تكن الا زائدة طفيلية في جسم الامة . (...) ان الشعب المنظم في الكومونات يعرف كيف يسير مؤسساته ... والمؤسسات تماما كالافراد ، تعرف في ممارساتها كيف تضع الشخص المناسب في المكان المناسب . واذا ارتكبت خطأ مرة فانها تعرف كيف تصلح خطأها فورا » .

الحرب الاهلية في فرنسا

تعقيب

استمرت كومونة باريس لعام ١٨٧١ فتـرة وجيـزة ، ٧٢ يوما ، وقد حطمتها قوات الثورة المضادة البورجوازية . وعلى الرغم من ديمومتها القصيرة ، وضعفها واخطائها ، بالرغـم مـن الحقيقة القائلة ـ كما بينت التطورات التاريخية اللاحقة ـ بأن دينونة(١) الراسمالية لم تحل عام ١٨٧١ ، وتركت كومونة باريس اثرها الذي لا يمحى على تاريخ القرن الماضي .

ان اهمية كومونة باريس طبعا ليست مقتصرة علـى البلـد الذي حصلت به . ان كومونة باريس سطرت صفحـات خالـدة ليس فقط في سجلات المجد الوطنـي الفرنسي ، وليس فقط في سجلات المآثر البطولية للطبقة العاملة الفرنسية . بـل اصبحت شارة ، وحادثة بارزة في تاريخ الحركة البروليتاريـة الامميـة وبالتالي في تاريخ الجنس البشري التقدمي .

كتب ف.ا. لينين في عام ١٩٠٨ « بالرغم من كل اخطائهـا فان الكومونة كانت مثالا ممتازا للحركة البروليتارية الكبيرة للقرن التاسع عشر(٢) » .

وهذه الكلمات ، تقدم مأثرة كبيرة للقضية الثورية لاصحاب الكوميونة التي احتلت مكانة هامة في التاريخ . ان كوميونة باريس اعتبرت ، قبل ثورة ١٩٠٥ في روسيا ، وحتـى في بعض المجالات قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية ، مهدا للحركة البروليتارية الثورية العالميـة .

---

١ ـ يوم الحساب .

٢ ـ ف . ا . لينين . الاعمال المختارة ، موسكو ، مجلد ١٣ ، ص ٤٧٦

ومع بداية الانتاج الآلي الراسمالي والنمو السريع الموازي لطبقة البروليتاريين الصناعيين ، فقد مرت حركة الطبقة العاملة خلال سلسلة من المراحل في تطورها .

منذ الاشكال البدائية للصراع الطبقي ـ عندما حطم العمال الآلات لاعتقادهم الساذج انها مصدر بؤسهم ـ حتى ثورة نساجي ليون في عام ١٨٣١ ، منذ طوباوية اوين ، سان سيمون وفورييه ، الى الصراع الفعال للاصلاح البرلماني في بريطانيا ، فان حركة الطبقة العاملة تقدمت ، وحررت نفسها من الاوهام ولكن مقابل تضحيات جسيمة .

ونما الشعور الطبقي البروليتاري حتى تجمعت معاناته في الصراع الطبقي .

وكان تشكيل منظمة بروليتارية أممية على أساس عريض ـ الاممية(١) الاولى ـ نقطة تحول هامة أخرى في تقدم البروليتاريا. لقد كان قيامها ونشاطها حقيقة لها أهمية بالغة . فقد أثبتت ان

---

١ ـ الاممية الاولى : أول اتحاد عالمي ثوري للبروليتاريا في التاريخ ، أسس من قبل كارل ماركس خلال عام ١٨٦٤ . ان تأسيس الاممية الاولى كان نتيجة لنضال ماركس وانجلز الطويل لانشاء حزب ثوري للطبقة العاملة . لقد ظهرت الاممية الاولى وتطورت في مرحلة توطد الراسمالية في البلدان الاساسية ، فيظروف نهوض حركة ديموقراطية وعمالية في ستينات القرن التاسع عشر ، فقد تنامى بين صفوف عمال مختلف البلدان طموح لتوحيد قواهم في المجال العالمي ، وصار من الضروري تأسيس مركز عالمي لنضال البروليتاريا الثوري . في ٢٨-٩-١٨٦٤ واثر اجتماع عقد في لندن من قبل العمال الانكليز للاحتجاج على قمع الانتفاضة البولونية .

حركة الطبقة العاملة قد وصلت درجة من النضج عندما كانت قادرة على الاطاحة بأغلال الكبرياء القومي ووصلت لمستوى توحيد قواها على نطاق أممي ، لمستوى مقاتلة الراسمالية تحت علم اممية التضامن البروليتاري الدولي .

وكانت كيومونة باريس ، ونستشهد بعبارة انجلز المشهورة، « طفل الأممية » . وعكس نشاط الكوميونة الجوانب القوية والضعيفة ليس فقط في فرنسا ، بل ايضا في حركة الطبقة العاملة الاممية بمجملها في تلك الفترة . وكان في مراسيم الكوميونة ، وفي برنامجها ، وفي نداءاتها للشعب ، في تصريحات قادتها وأعضائها صوت الماضي ، صدى آمال جيل مضى بأفكاره الساذجة ، واوهامه التي استمرت . ولكن في الوقت ذاته كان هناك شيئا مختلفا وجديدا ، شيئا مميزا .

ولم تكن الكوميونة الاكتمال الوحيد ، ونقطة تغير كبيرة في التطور الصاعد لنضال البروليتاريا خلال ثلثي القرن التاسع‌عشر، بل كانت أيضا بداية مرحلتها اللاحقة : قادت الكوميونة محاولات حركة الطبقة العاملة الاممية في نضالها من أجل تحرير الجنس البشري .

أين تكمن الاهمية التاريخية لكوميونة باريس لعام ١٨٧١ ؟

أولا وقبل كل شيء ، في الحقيقة القائلة بأنها أول ممارسة في تاريخ العالم لديكتاتورية البروليتاريا .

فقبل كوميونة باريس كانت ديكتاتورية البروليتاريا مفهوما نظريا محضا ، ونتيجة نظرية ممتازة رسمها ماركس وانجلز كانت بحاجة الى امتحان يؤكدها بالممارسة . وعندما عرف ماركس

وانجلز في عام ١٩٤٨ في البيان الشيوعي مفهـــوم « السيـــادة السياسية للبروليتاريا(١) » ، وفيما بعد في آذار ١٨٥٠ ماركس في الصراع الطبقي في فرنسا ، ١٨٤٨ ـ ١٨٥٠ فلاول مرة استعمل اللفظ بدقة أكثر « ديكتاتورية البروليتاريا(٢) » فقد كان ما يزال استنتاجا نظريا ، حدسا لدى مؤسسي الاشتراكية العلمية . والذي كان يشكل الديكتاتورية كان ما يزال غير واضح ابان تلك الاعوام . والتجربة الباكرة لحركة الطبقة العاملة الاممية لم تقدم الجواب . ولم توضح ثورة نساجي ليون في عام ١٨٣١ و ١٨٣٤ ، ولا الثورة المسلحة الشجاعة لعمال باريس في حزيـــــران ١٨٤٨ ولا الثورة الشعبية في براغ أو فينيا في العام نفسه كل تلك الثورات لم توضح ما الـذي سيكون عليــه المضمون التاريخي لعهـد ديكتاتوريـة البروليتاريا .

وان لفظ « ديكتاتورية البروليتاريا » قـدم في القـاموس السياسي لحركة الطبقة العاملة الاممية ، يعني أنه بين حكم الطبقة البورجوازية والمجتمع الشيوعي اللاطبقي ســوف يوجد فتـــرة انتقالية من حكم سياسي للطبقة العاملـة . أمـا ماهي الاشكال السياسية العيانية لديكتاتورية البروليتاريا التي سوف تظهر ، وكيف سوف تنفذ ، وما هو تنظيم الـدولة الـذي يتلاءم معهـا بشكل أفضل ، فقط المعاناة ، فقط التطبيق ، يمكن أن يبين ذلك.

---

(١) كارل ماركس وانجلز ، الاعمال المختـارة ، موسـكو ، ١٦٦٨ ص ٥٣٤٦

(٢) كارل ماركس ، انجلز ، الاعمال المختارة ـ موسكو ـ ١٠٥٠ مجلد ١ ص ٢٠٣ .

لقد انجز الشعب الفرنسي ،وعمــال باريس في تنفيذ أول تجربة لديكتاتورية البروليتاريا في عام ١٨٧١ مهاما عملية أملتهــا مطالب الصراع الطبقي المحتم . وأوجدت وخلقت صورا من تنظيم قوى الشعب التي ولدتها المبادأة الثورية للجماهير .

وقال الممثلون المتعددون لمدارس البورجوازيــة الصغــيرة المختلفة السابقة للاشتراكية الماركسية ـ البلانكيون ـ اليعاقبة الجدد ، الجماعيون ، البرودونيون المتطرفون ـ الذين اشتركوا في النضال البطولي لشعب باريس في آذار ـ أيار ١٨٧١ الى وصف الكوميونة بأفضل طريقة تناسب مذهبهم الخاص . وبالعجز عــن رؤية أو التحقق من الظاهرة الجديدة المختلفة نوعيا وجوهريا التي جلبتها معها الكومونة ، فقد أملوا غالبا بتكرار ملامح الماضي فيها . أما المعاصرون الاخرون ، الخصوم الايديولوجيون للماركسية الذين لم يشتركوا في نضال الكوميونة بل حاولوا الاستفادة من ثمارهــا لصالح جماعاتهم الحزبية ونظرياتهم المزيفة ـ فقد فسروا معنــى واهمية الكوميونة في طريقة اعتباطية . وكتب م. باكونين « انني مؤيد للكوميونة ، وخاصة لانها كانت تعبيرا شجاعا ، وواضحــا لسلب الدولة» (١) .

وما فشل معاصرو الكوميونة وحتى الذين اشتركوا بهــــا لادراك وفهم الكوميونة ، وحتى اليوم ، وبعد مائة عام ، ظل كتابا مغلقا لممثلي علم الاجتماع الرجعي ، ولقــد أدرك كارل ماركس في سياق الحوادث وعبر أكـــوام مــن الاكاذيب وقصص الافتراء والتشويه ، والحكايا غير القابلة للتصديق التي انتشرت حــول

---

(١) م . باكونية . الاعمال المختارة ، موسكو ، ١٩٢٠ مجلد ١٧ الفصل الثاني ص ٢٥٢ (بالروسية) .

الكوميونة بواسطة الصحافة البورجوازية .

ويعود الى ماركس فضيلة تاريخية كبرى في كشف سر الكوميونة « الخرافة المعذبة لذاكرة البورجوازية » (١) .

وعندما كانت الكوميونة ماتزال تدافع ببطولة عن نفسها ضد القوى المتحالفة للثورة المضادة في فرساي والتدخل البروسي ، فقد أزاح ماركس النقاب عن معظم المعلومات المحرفة والمتناقضة التي تم التوصل اليها عن طريق شهود عيان ، ووثائق رسمية ، وصحافة بورجوازية واشتراكية ، ورسائل وتقارير من باريس . وتوصل الى الشيء الرئيسي حول الكوميونة . وفي أوائل شهر نيسان لعام ١٨٧١ فقد عرّف أن المضمون الرئيسي للصراع البطولي لعمال باريس كان محاولة لتحطيم الآلة البورجوازية البيروقراطية العسكرية(٣) .

ووصل ماركس الى هذه النتيجة ـ الحاجة لتحطيم آلة الدولة للطبقات الحاكمة ـ تقريبا قبل عشرين عاما ، في كتابه The Eighteeth Brumaire of Louis Bonaparte بعد تعميم تجربة الثورة لعام ١٨٤٨ . مقتفيا أثر عملية توطيد القوة التنفيذية في مراحل مختلفة من التطور ، من الملكية المطلقة الى الامبراطورية الثانية لنابليون الثالث ، وكتب ماركس : « كل الثورات حسنت الآلة بدلا من تحطيمها (٢) » .

وكانت لفكرة ان البروليتاريا سوف تحطم آلة الدولة

---

(١) ك. ماركس وانجلز . الاعمال ، المجلد ١٧ ص ٥٩٦ (بالروسية) .

(٢) ك. ماركس وانجلز . الاعمال المختارة ١٩٦٨ ص ٦٧٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧١ .

البورجوازية وان هذا هو شرط اولي لاية ثورة شعب حقيقيــة، اهمية نظرية هائلة وعملية من اجل نضال تحرير البروليتاريا . وكتب لينين فيما بعد أن هذه النتيجة صاغها ماركس في لويس لونابرت .

« هي نقطة رئيسية وجوهرية في النظرية الماركسية للدولة(١)» .

وحتى الآن ، ولسنوات عديدة بعد ماركس فقد عبر عن هذه الفكرة ، التي تمتاز باستبصارها وبتعميمها النظري ، فانهامازالت واهنة بالحقائق التاريخية .

وكان فقط في نيسان ١٨٧١ ، وبعد دراســة المواد الاوليــة المختلفة والمتناقضة الواردة من باريس المحاصرة ، ووجد ماركس في كومة التقاريــر الصحفيــة ما استحوذ علــى انتباهـــه :

وكتب اللجنة المركزية للحرس الوطني التي اصبحت أول حكومة ثورية ، في أحد نداءاتها :

« فلأول مرة منذ ٤ ايلول ، فان الجمهورية كانت مرة مــن حكومة أعدائها ... وفي المدينة الآن ميليشيا قومية تدافع عــن المواطنين ضد السلطة بدلا من جيش دائم يحمي السلطة ضــد المواطنين » (٢) التي نسخها وأكدها ماركس (٢) والتي أعاد تقديمها بعد ذلك في المسودة الاولى « **الحرب الاهلية في فرنسا** (٣)استخدمت

---

(٢) ف . لينين . الاعمال المختارة. المجلد ٢٥ ص ٤٠٦ .

(٢) المجلة الرسمية . ٢٢ آذار ١٨٧١ .

(٣) أرشيف لـ. ماركس وانجلز . المجلد الثالث ، موسكو ١٩٣٩ ص ١٢٠ ــ ١٢١ (بالروسية) .

(٤) لـ. ماركس ، وف . انجلز ، الاعمال ، المجلد ١٧ ص ٥٤٨ (بالروسية).

كنقطة من نقاط الانطلاق لتحليله النظري البديع للكوميونة كدولة من طراز جديد ، والذي اتمه في الفصل الرئيسي المعنون بـ « ميزة الكوميونة » وأدرك ماركس أن عمال باريس انجزوا ما تنبأ به نظريا في عام ١٨٥٢ : بدأوا بتحطيم آلية الدولة البورجوازية العسكرية البيروقراطية . وكتب ماركس : « ان البروليتاريين فقط ، وبالهام من المهمة الاجتماعية الجديدة كان عليهم أن يحققوا ، ولصالح المجتمع ككل ، مهمة تحطيم كل الطبقات والحكم الطبقي » وكان البروليتاريون قادرين على تحطيم أداة هذا الحكم الطبقي ، الدولة ، وتمركز سلطة الحكومة ، التي بواسطة الاغتصاب اصبحت سيدا للمجتمع بدلا من أن تكون خادمة(١) » .

وهذه الصيغة الموجزة عرّفت ماهية الكوميونة وكشفت بالكامل وبشكل جديد عن التجربة التاريخية للعمال الفرنسيين والتي قدمت لحركة الطبقة العاملة للعالم .

وفي نيسان ١٨٧١ ، عندما كانت نتيجة الحرب الاهلية بين اتباع الكوميونة وجيش فرساي ماتزال تقرر في المعارك الدامية على مشارف المدينة الكبيرة ، كتب ماركس وببصيرة نافذة أن الكوميونة « لا يهم ماذا سيكون قدرها في باريس ، فانها سوف تدوي في نظام العالم (١) » .

وبالطبع ، فان ثورة ١٨٧١ ، مثل اي حركة شعبية عظيمة، انعطفت على التجربة التاريخية الماضية واخذت منها كل شيء تقدمي وقيم يخدم المهام الجديدة التي تواجه الثورة .

---

(١) ك . ماركس ، وف. انجلز ، الاعمال ، المجلد ١٧ ص ٥٤٧ (بالروسية).

(٢) المصدر السابق .

واللفظ الفعلي « للكوميونة » الذي طالب به الشعب حتى قبل ان يعلن ، كان أيضا قد اخذ من ماضي فرنسا . وعلى اي حال ، ففي عام ١٨٧١ فان السؤال عن الكوميونة لم يكن مرتبطا ي عقول العمال الفرنسيين الجزء التقدمي من الشعب الفرنسي العامل بذكريات كوميونة مدينة القرون الوسطى ولا يتضمن استعادة حكم القرون الوسطى للمدن الحرة ،كماوصف بعض المؤرخين البرودونيين ثورة ١٨٧١ .

فيما بعد . هذا المطلب كان بسبب ذكريات الثورة الفرنسية الكبرى ولكوميونة باريس ١٧٩٢ – ١٩٧٣ .

ولكن ماهي كوميونة ١٧٩٢ – ١٧٩٣ ؟ لقد رآها الشعب أول وأعظم جهاز للثورة . وتأمل الحقائق التالية : لقد رأست الكوميونة الثورية لباريس الثورة الشعبية في ١٠ آب ١٨٩٢ ، التي أطاحت بالملكية ، وقادت شعب باريس في ثورة مجيدة في ٣١ أيار – ٢ حزيران ١٧٩٣ ، والتي أطاحت بحكم Girondists ووضعت الحكم في ايدي الـ Mountain

وعاشت كوميونة باريس ١٧٩٢ – ١٩٧٣ في ذاكرة الشعب العامل الفرنسي ، كتجسيد ثوري جريء وشجاع ، كرمز لانتصار الشعب على قوى الثورة المضادة الداخلية والخارجية .

وفي نهاية نيسان وأوائل أيار ١٨٧١ ، فان الكوميونة، انتصرت على مقاومة البرودونيين مدعومة من قبل البلانكيين واليعاقبة الجدد ، قررت تشكيل لجنة الانقاذ العامة . ولكن فكرة اعادة تشكيل هذه الهيئة الشهيرة لديكتاتورية اليعاقبة الثورية الديموقراطية عام ١٧٩٣ – ١٧٩٤ نشأت في وقت أبكر . وكما

تبين من المحاضر الرسمية لجلسات اللجنة المركزية لعشرين مقاطعة تقريبا في اليوم الثالث من انتصار الشعب في ١٨ آذار ، فان نابيه ببكو أحد أعضاء هذا التنظيم أثار مسألة اعادة تنظيم اللجنةالمركزية للحرس الوطني ، أول حكومة ثورية ، داخل لجنة الانقاذ العامة وتوسيع سلطاتها وحقوقها طبقا لذلك(١). وهكذا فاننا نرى انه بالعودة الى ماضي الشعب الفرنسي ، فان ممثلي المنظمات الثورية المختلفة في باريس عام ١٨٧١ جدوا في طلب أمثلة لتنظيم ثوري للسلطة والاستفادة من هذه التجربة في ظروف تاريخية جديدة عام ١٨٧١ .

ولكن وبرغم أن عديدا من المؤسسات التي أوجدتها الجماهير الثورية في عام ١٨٧١ ظاهريا تعيد الى الذاكرة أو حتى انها كانت نسخة مطابقة للهيئات الثورية لعهد تاريخي مختلف تماما ـ عهد الثورة البورجوازية الفرنسية الاولى ـ الا أنها في محتواها كانت مختلفة كليا وجوهريا .

أن كوميونة عام ١٨٧١ شابهت كوميونة ١٧٩٢ ـ ١٧٩٣ في الاسم والتقليد الثوري فقط ، ولكن ميزتها الطبقية كانت الان مختلفة ، مضفية معنى جديدا على اللفظ الفرنسي القديم . واذا شابهت الديكتاتورية التي اقيمت في باريس عام ١٨٧١ بأي طريقة الديكتاتورية الثورية لليعاقبة فقد كان ذلك في اسماء بعض مؤسساتها والصفات الخطابية لبعض قادتها ، وخاصة ضمن اليعاقبة الجدد .

---

(١) انظر ج. داوتري ول. سكلير ،
Le Comité Central Républican des Vingt Arrondissements de Paris
(ايلول ١٨٧٠ ايار ١٨٧١) باريس ١٩٦٠ ص ٢١ .

ولكنهـا تختلف جذريا في صفتها الطبقية عـن ديكتاتورية اليعاقبة وكانت بطبيعتها الواقعية تنعطف نحو المستقبل لاالماضي.

ومن المحتمل ان قادة عديدين من الكوميونة لم يتحققوا من هذا تماما ، وفي هذا المجال ايضا كما في مجالات اخرى فان وثائق الكوميونة هي متناقضة وتعكس اختلافا في الآراء المذهبية . وعلى أي حال ، فمنذ الايام الباكرة والاولى بعد انتصار ثورة ١٨ آذار فان الجريدة الرسمية ، الجريدة الناطقة بلسان حال الحكومـة الثورية ، نشرت وثائق برنامج بيّن ان اتباع الكوميونة كانوا عارفين تماما المهام التاريخية الجديدة التي كان يجب عليهم معالجتها في باريس المتمردة .

وقالت اللجنة المركزية في بيانها في ١٨ آذار

« ان بروليتاري باريس ، وسط اخفاق وخيانات الطبقات الحاكمة ، فهموا أن الساعة قد دقت لهم لانقاذ الوضعوذلك بأن يأخذوا بأيديهم الخاصة توجيه الشؤون العامة(١) » . وهكذا فان اللجنة المركزية للحرس الوطني أعلن أن المحتوى الرئيسي لثـورة الشعب في ١٨ آذار كانت نقل السلطة الى البروليتاريا . ولم تكن هذه فكرة زائلة . والمقالة ذاتها تكرر ان « وفي وجه التهديدالمستمر ازاء حقوقهم ، والسلب الكامل لكل مطامحهم الشرعية ، ودمار الوطن وكل آماله ، فقد فهم البروليتاريون ان واجبهم الالزامي وحقهم الذي لا يقبل الجدل في تقرير مصيرهم وتأكيد انتصارهم بالاستيلاء على السلطة »(٢) .

---

(١) المجلة الرسمية ٢٠ اذار ١٨٧١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧ .

ان كلمات « ديكتاتورية البروليتاريا » ليست واردة هنا . وخلال ٧٢ يوما تاريخ الثورة لم تذكر هذه الكلمات مرة واحدة من قبل المشتركين . والاكثر من ذلك ، وكما هو مبين في محاضر الجلسات الرسمية لكوميونة باريس ، فان كلمة « ديكتاتورية » اربكت كثيرين من افرادها ، وخاصة البرودونيين(١). ولكن ماركس وانجلز المعاصران الكبيران والمشارك روحيا في الصراع البطولي للكوميونداريون ، كانا قادرين على ادراك مافي المأثرة التاريخيةلعمال باريس مافشل الاخيرون في التحقيق منه ، اي ان الكوميونة كانت اول تجربة في تاريخ ديكتاتورية البروليتاريا .

ولا حاجة هنا لتلخيص تعريفات ماركس وانجلز للكوميونة كانها أول تجربة في ديكتاتورية البروليتاريا . وسوف اذكر فقط تلك الملامح العيانية في التطبيق العملي للكوميونة التي وضعها ماركس وانجلز وفيما بعد لينين ، كملامح عرفت الكوميونة كدولة من « طراز جديد » .

وصدر المخططون للشيوعية العلمية في تحليلهم النظري ، كما لوحظ في وقت سابق ، من محاولة العمال الفرنسيين لتحطيم الآلة العسكرية ــ البيروقراطية القديمة للدولة . وعبر لينين خلال مجادلته مع كاوتسكي عن الفكرة الشهيرة بأن صيغة « ديكتاتورية البروليتاريا » هي أكثر من واقعية تاريخية ، وصيغة علمية صحيحة لمهمة البروليتاريا « لتحطيم » آلة الدولة البورجوازية ، التي تحدث بشأنها ماركس وانجلز اثناء تلخيصهما تجربة ثورة

---

(١) انظر محاضر الجلسات الرسمية لكوميونة باريس المجلدان ١ ـ ٢ ، موسكو ١٩٦٠ وخاصة محاضر جلسات اجتماعات ٢٦ نيسان وايار ١٨٧١ (في الروسية) .

١٨٤٨ ، وظلت واردة في عام ١٨٧١ ، وظل الحديث عنها مستمرا لاربعين عاما بين عام ١٨٥٢ و ١٨٩١ »(١) .

ولكن ماهي الواقعية التي عنيت في صيغة « تحطيم آلة الدولة البورجوازية ؟ وماهو في هذا المجال الفعل الذي اعطته انتجربة التاريخية لكوميونة باريس لحركة الطبقة العاملة العالمية وتحريرها لنظرية الماركسية ـ اللينية ؟

ان التاريخ القصير لكوميونة باريس برهن ان تحطيم آلة الدولة العسكرية البيروقراطية البورجوازية يتضمن اجرائين رئيسيين . الأول ، تدمير الجيش العائم (أو الدائم) (Standing Army) والشرطة ، هذه الفرق الخاصة من الرجال المسلحين التي ، كما لاحظ لينين ، تستخدم كقوة حقيقية للظلم والاضطهاد الطبقي . والاجراء الثاني هو ، تدمير البيروقراطية القديمة ، والاجهزة الرسمية القديمة في كل فروعها .

لقد انجزت بروليتاريا باريس هاتين المهمتين التاريخيتين في آذار ـ نيسان ١٨٧١ ليس لان هذا نصت عليه النظرية ، بل أيضا املاه منطق الحرب الطبقية ، والمتطلبات الالزامية للوضع ، والمبادأة التاريخية الرائعة للجماهير ، التي قدرها كثيرا مؤسسا الشيوعية العلمية .

وتقريبا في اليوم التالي للانتصار في ١٨ آذار ، فان اللجنة المركزية للحرس الوطني استولت على ادارة الشرطة ووضعت بها مندوبا وطنيا هو ايملي دوفال Emile Duval ، وكلفته بادارتها ،

---

(١) ف. لينين . الاعمال المختارة المجلد ٢٨ ص ٢٣٣ .

وعينت غريلير Grelier مديرا لوزارة الداخلية . وفي ٢٢ آذار أصدرت اللجنة المركزية للحرس الوطني قرارا بأن كل الجنود في الجيش النظامي الذين ظلوا في باريس يجب ان يتطوعوا في الحرس الوطني . وبناء على ذلك فان اول حكومة ثورية أعطت تأثيرا فعالا وعمليا لهذه المهمة الكبيرة لثورة الشعب . وان القرار التاريخي لكوميونة باريس في ٢٩ آذار ، بالغاء الجيش العامل ، واستبداله بحرس وطني أعطى الشرعية لعمل رسمي للحكومة الثورية من ضمن اجراءات عملية اخرى نفذتها اللجنة المركزية للحرس الوطني.

ان تحطيم الاجهزة الرسمية البورجوازية واستبدالها بكوادر جديدة من الشعب كان أمرا أملته الضرورة الشديدة ، والصراع الطبقي المحتم .

وعندما ، كمثل ، في وزارة الخارجية فمن جميع الجهاز الكامل بقي اثنان في الوظيفة ، الحارس ومنظف البناء ، والبقية مخربون ، فقد كان لا يوجد وقت للتنظير ، للتفكير ، بما يدعيه البرودونيون او البلانكيون في مثل هذا الظرف الطاريء . فقدكان من الضروري العمل .

ولقد عمل الشعب الفرنسي . وهنا تكمن مأثرته التاريخية الكبرى. وكما قال لينين « الغريزة التي لا تخطىء لشعب يقظ »(١)

ان المباداة التاريخية للجماهير ، قد حرضتهم لاتخاذالقرارات

---

(١) ف. ا. لينين . الاعمال الكاملة المجلد ٢٧ ص ١٣٣ .

الصحيحة فقط في الوضع . واثبتت هذه القرارات سيادتها المطلقة، وفعاليتها اكثر من عدة علاجات لشفاء المجتمع اقترحتها مدارس ثورية عديدة للاشتراكية الفرنسية للبورجوازية الصغيرة . ان تجربة كوميونة باريس لا تعزز تاريخيا حقيقة افتراض ماركس النظري التي قال بها عام ١٨٥٢ ، بل انها تبين ايضا وبالتطبيق كيف تحطم آلة الدولة البورجوازية .

ونفس المباداة التاريخية للجماهير ، التي حرضتها المطالب الالزامية للحرب الطبقية الحاقدة ، اخبرتهم كيف يعالجون مهمة ثانية جاءت مباشرة بعد الاولى ، كيف يحلون المسألة :

ماذا سيحل محل آلة الدولة المحطمة ؟

بين ماركس في **الحرب الاهلية في فرنسا** ولينين في **الدولة والثورة** (حيث طور فيه افكار ماركس) بوضوح ممتاز ماهية الكوميونة كأول تجربة في تاريخ ديكتاتورية البروليتاريا . وهذه الاعمال الكلاسيكية ودراسات اخرى حول الموضوع تجعلها سطحيا تكشف الملامح التي تحدد الكوميونة كدولة لديكتاتوريةالبروليتاريا .

وبناء على ذلك فانني سوف اعددها فقط

كانت : استبدال الجيش العامل والشرطة بالشعب المسلح، **الغاء طبقة الموظفين** البيروقراطية القديمة واستبدالها بأجهزة ديموقراطية جديدة لسلطة دولة يديرها الشعب بجماهيرهالعريضة، كل المسؤولين يجب ان ينتخبوا وان يكونوا معرضين للاقالة بموجب

تصويت شعبي وأن يكونوا مسؤولين أمام الشعب ، رواتب الموظفين المدنيين الكبار مثبتة على مستوى اجور العمال ، توحيد السلطة التشريعية والتنفيذية في جهاز دولة واحد عال ـ الكوميونة ـ وانتقاله الى « هيئة عاملة » ، تنظيم الوحدة الوطنية بتوحيد عمل الكوميونة على اساس « مركزية واعية ، ديموقراطية ، بروليتارية »(١) هذه الاجراءات نفذها اعضاء كوميونة باريس ، التي اعتبرها ماركس وانجلز وعرفاها كدولة من طراز جديد .

وبالطبع ، فان حكومة الطبقة العاملة رغم انها انتصرت في مدينة واحدة ، هي عاصمة البلد ، فقد وجدت نفسها وجها لوجه مع الثورة المضادة البورجوازية ، تدعمها الثروات الواسعة للدولة، ومدعومة بكل قوى الطبقات الرجعية والمتآمرة. وكان عليها بناء على ذلك ، أن تدافع عن الثورة التي صنعها الشعب بمساعدة مثل « الوسائل الفاشستية » ولنستشهد بانجلز، كالبنادق، والحراب، والمدافع . في عام ١٩١٨ تجادل لينين مع كاوتسكي فذكر الاول الثاني بكلمات انجلز « هل كانت كوميونة باريس تستمر أكثر من يوم لو أنها لم تستعمل سلطة الشعب المسلح ضد البورجوازية ؟ أولسنا ، نقيضا لذلك ، قمنا بلومها لانها لم تستعمل السلطة لمدى اكبر من المدى الذي استعملته ؟ »(٢) .

وباستخلاص الدروس من تجربة كوميونة باريس ، فقد اكد ماركس وانجلز ولينين المرة تلو الاخرى أن سببا من اسباب هزيمة

---

(١) ف. ا. لينين . الاعمال الكاملة المجلد ٢٧ ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، المجلد ٢٨ ص ٢٤٠ .

الكوميونة كان انها بنيت كرما كبيرا ازاء عدوها الطبقي عديم الرحمة ـ البورجوازية ـ وانها لم تستعمل كل وسائل ديكتاتورية البروليتاريا التي كانت بيدها في محاربة خصمها الطبقي القوي .

ولكن في الوقت ذاته ، فان كوميونة باريس كانت ـ رغم انها لم تكتمل وتتطور ـ شكل لديكتاتورية البروليتاريا ـ اول طراز جديد ، طراز عال من الديموقراطية بالمقارنة مع اي شكل سابق معروف . وان الاجراءات الاولية التي اتخذت لاستبدال آلة الدولة البورجوازية القديمة بتنظيم جديد من سلطة الدولة طبعت هذه المرحلة الانتقالية بديموقراطية جديدة . وكتب لينين : « ان الكوميونة ، بناء على ذلك ، تظهر وكأنها استبدلت آلة الدولة المحطمة بديموقراطية كاملة (فقط) : ابطال الجيش العامل ، وجوب انتخاب جميع المسؤولين وكونهم معرضين للاقالة بموجب انتخاب شعبي . ولكن هذا كموضوع لواقعة فانه يميز استبدالا هائلا لمؤسسات معينة بمؤسسات اخرى من نمط يختلف جوهريا ... الديموقراطية ، قدمت بشكل كامل ومنسجم لقد تحولت الديموقراطية من البورجوازية الى ديموقراطية بروليتارية(١) » .

ولم تكن المسألة فقط ، مسألة الدرجة التي طبقت الكوميونة بها حق الاقتراع الشامل (مع ان قادة سابقين للطبقة العاملة الذين انتقلوا الى معسكر البورجوازية ، مثل كاوتسكي وفانديرفيلد ، حاولوا تصوير هذا كقضية حاسمة للديموقراطية) . وهذه المسألة ـ سواء كانت تستطيع ديكتاتورية البروليتاريا أو يجب أن تمنح

---

(١) المصدر السابق ص ٤١٩ .

حق اقتراع شامل في بعض المراحل ، فان ذلك ، يسمح أيضا للبورجوازية المطاح بها أن تصوت ـ لم تكن قضية مبدأ كما بينها لينين(١) ، بل كانت قضية عملية ، ولكي تكون واقعية فقد تقرر في كل لحظة معطاة ، الاعتماد على الوضع المعطى .

والشيء الرئيسي أن ديكتاتورية البروليتاريا ، وهي تؤمن الانتقال الى ديموقراطية البروليتاريا ، وتعبر عن الديموقراطية لصالح الشعب ، لغالبية السكان ، وتخلق كل الشروط الضرورية لمشاركة أعرض من قبل ماكانوا يدعون بالامس Lower Starta « الشعب المشترك » في انماط ادارة الدولة .

ومن أوسع التهم انتشارا ضد الكوميونة كانت تلك التهم الموجهة ضد اشخاص « غامضين » ، « لا أسماء لهم » . وحتى أرثور أرنولد المشارك القائد في الكوميونة والذي أصبح فيما بعد واحد من أوائل مؤرخيها ، عدها « رهيبة ولم يسمع بها » أي « أول مدينة في العالم ... تنتمي لشعب غامض وحكومة لا اسم لها ، توجه من قاعة الاجتماع الكبيرة في المدينة(٢) » ولكن قوة الكوميونة تكمن هنا بالفعل فقد كانت حكومتها حكومة الطبقة العاملة . وكانت أول حكومة حقيقية للشعب في التاريخ . وكان أعضاء الكوميونة أنفسهم متأكدين من الاهمية السياسية الكبيرة لهذه الحقيقة .

وقد كتب أعضاء اللجنة المركزية للحرس الوطني عن أنفسهم:

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٤ .

(٢) أ. ارنولد Histoire Populaire et Parlementaire de Paris, Bruxelles ص ٢٩ ـ ٣٠ ، ١٩٧٨

« ان البروليتاريين المغمورين ، والذين مازالوا مجهولين حتى يوم أمس ، ولكن اسماءهم سوف تتردد قريبا عبر العالم »(١) .

وبانتصار صراعهم البطولي والتبيان للعالم طرازا عاليا من الديموقراطية ــ الديموقراطية البروليتارية ــ فان الطبقة العاملة الفرنسية انجزت مهمة ثانية : فقد وطدت النظام الجمهوري في البلد . وأعلنت الجمهورية الثالثة في ٤ ايلول ١٨٧٠ ، وكانت بالفعل اسمية محضة ، ومقلقة جدا ومحفوفة بالمخاطر . ولقد حصلت الجمهورية على قوة وضربت جذورها فقط بعد كوميونة باريس .

ان البروليتاريا الفرنسية « أعادت تربية » و « أعادت تعليم » البورجوازية الفرنسية : فقد أعاد بروليتاريو فرنسا « ملكيي الامس الى جمهوريين » .

ومن الجدير بالملاحظة أن أوليانيت تايير « الملكي القديم » كما اعتاد أن يطلق على نفسه ، طلب بعد تحطم الكوميونة ان الجمهورية يجب أن تحفظ سليمة ، لان الاطاحة بها ، في رأيه ، سوف تقود « لحرب أهلية رهيبة »(٢) .

ولكن توطيد الجمهورية الثالثة كان فقط نتيجة ملازمة للصراع البطولي للبروليتاريا الفرنسية في آذار ــ أيار ١٨٧١ . والشيء

---

(١) الجريدة الرسمية ٢٠ اذار ١٨٧١ .

(٢) ج. بونولس Thiers au pouvolr. Textes de ses Lettres. Paris ١٩٢١ ص ٦٩ .

الرئيسي حول الكوميونة كان شيئا آخر . كتب ماركس :

الكوميونة هي شكل سياسي للتحرير الاجتماعي ، تحرير العمل من سلطة الاغتصاب لوسائل العمل »(١) وعبر لينين عن الفكرة ذاتها بل واكثر دقة « الكوميونة هي طراز من « آخر اكتشاف » من قبل الثورة البروليتارية ، وبموجبها يستطيع التحرر الاقتصادي للعمل أن يأخذ مكانه »(٢) .

وكان هذا الاكتشاف ، اكتشافا نظريا هائلا وله اهمية عملية . فقد بينت اول تجربة لديكتاتورية البروليتاريا في التطبيق الحقيقة التاريخية لافكار ماركس . ووضعت حدا للحجج القديمة والمبتذلة . فلا احلام سان سيمون بنظام وضعي مثالي للعمال والعالم ، أو « النظام المجتمعي » لتشارلس فورييه ، أو « منظمة العمل » للويس بلانك ، أو « ايكاريا » لاتين كابيه ، ولا أفكار مؤلفين آخرين للبناء الاجتماعي للعالم ، الذين يمثلون خيالات مختلفة للبورجوازية الصغيرة أو الاشتراكية الطوباوية فبروليتارية ، صمدت امام امتحان التطبيق . الحياة نفسها ، الصراع الشجاع والجسور لعمال باريس الذين أوجدوا أول حكومة طبقة عاملة في العالم ، أول دولة في العالم لديكتاتورية البروليتاريا — وحتى لو كانت غير مكتملة — أثبتت ان الماركسية هي المذهب الوحيد الذي يفتح الطريق أمام تقدم الجنس البشري .

---

(١) ك. ماركس — ف. انجلز ، الاعمال ، المجلد ١٧ ص ٥٥٠ (بالروسية).

(٢) ف. ا. لينين الاعمال الكاملة ، المجلد ٢٥ ص ٤٣٢ .

ان تجربة النشاط الخلاق الثوري لعمال باريس التي استمرت ٧٢ يوما ، قد درست بعمق من قبل ماركس وانجلز ولينين الذين صرحوا انهم تعلموا من حركة الطبقة العاملة ، واغنوا نظرية الشيوعية العلمية . لقد احتلت كوميونة باريس لعام ١٨٧١ مكانا هاما في تطور الاشتراكية من اليوتوبية الى العلم ، ومن العلم الى الواقع .

واثبتت الطبقة العاملة الفرنسية خلال الكوميونة أن الوقت قد حان عندما تعمل البروليتاريا كقوة مسيطرة ، كقائد للقوى التقدمية في المجتمع . ولقد انعكس حس المسؤولية ، وشعرت الطبقة العاملة بمسؤوليتها ازاء مستقبل حركة الطبقة العاملة ، ومصير كل الشعب العامل ، مصير الوطن ، والحل العام للمهام الديموقراطية والوطنية للشعب الفرنسي انعكس كل ذلك في عديد من بيانات برامج الكوميونة وفي نشاط أعضائها الفعال .

الفهرس

صفحة

م/٥٣٥٢/ت ١٩٧٤/١٠/٢٣

ط. ١. ٤٠٠٠/١٩٧٨

سلسلة الافكـار

صـدر منهـا :

١ ـ اليساري ، تأليف كلود لانزمان ، ترجمة احسان مراش	نفذ
٢ ـ الحرب والحضارة ، تأليف ارنولد توينبي ، ترجمة الدكتور فؤاد ايوب	نفذ
٣ ـ أخلاقهم واخلاقنا ، تأليف ديوي ، تروتسكي ، نوفـاك	نفذ
٤ ـ هل للانسان مستقبل ، تأليف برتراند راسل	نفذ
٥ ـ الثورة التي لم تتم ، تأليف اسحاق دويتشر	٣٠٠
٦ ـ في سبيل نموذج وطني للاشتراكية ، تأليف روجيه غارودي	نفذ
٧ ـ الحقيقة كلها ، تأليف روجيه غارودي	نفذ
٨ ـ الرد الاشتراكي على التحدي الامريكي ، تأليف ارنست ماندل	
٩ ـ سوسيولوجيا ماركس وفلسفته الاجتماعية ، تأليف روتومور وربل	نفذ
١٠ ـ التحريفية والجمود العقائدي تأليف اوبراد . بيانوفيتش	١٥٠
١١ ـ دراسة في البيروقراطية السورية ، تأليف سمير عبده	١٢٥
١٢ ـ كومونة باريس تراثها الثوري واهميتها التاريخية	٥٠٠
١٣ ـ علم النفس الديني تأليف سيرل برت	٥٠٠
١٤ ـ اشتراكية والنزعة الانسانية تأليف سيرغي يوبوف	٩٠٠
١٥ ـ علم النفس الاجتماعي وقضايا الاعلام والدولة	٩٠٠
١٦ ـ نقد علم الاجتماع البورجوازي المعاصر	٧٠٠
١٧ ـ فلسفة الردة رد ماركس على غارودي	٢٥٠

كومونة باريس

ان كومونة باريس هي ارادة سياسية ، ارادة تغيير العالم والحياة كما هي ، والاشياء كما هي ، عفوية تحمل أعلى مستويات الفكر ، مشروع ثوري شامل ... رهان حي ومنطلق على الممكن والمستحيل .

مزيج غريب من العظمة والجنون . من الشجاعة البطولية وعدم المسؤولية . من الهذيان والعقل ، من التبجيل والوهم .

والكومونة أكدت أن اطروحة ماركس عن نهاية ماقبل التاريخ الانساني ، أي القضاء على كل أنواع الاستلاب ، وبدء تاريخ واع يعيشه البشر ويسيطرون عليه ليس فكرة طوباوية. لان هذه الطوباوية المزعومة دخلت في الوقائع والحياة لمدة اكثر من ستين يوما خلال كومونة باريس .

وحتى انتكاس الكومونة هو انفتاح على الغد على شرط أن نستوعب ان الكومونة ارادت أن تنتصر على الدولة لتحقق الحرية وان ما استحال على رجال الكومونـة مايزال يمكن تحقيقه .. وهي حلم باحلال الشعب في موقع القيادة محل البيروقراطية قالوا أنه لو كـان ثمة حزب ثوري لنجحت الكومونة ، ولكن السبب العميق لفشل الكومونة يكمن في مستوى تطور قوى الانتاج ووسائل الانتاج . (الابقاء على مصرف فرنسا والبورصة والمصارف ، اتباع تكتيك المتاريس بدل الهجوم ، عدم الهجوم على فرساي ، عدم الرد على الارهاب) . كانت رأسمالية التنافس الحر في أوجها ، وكانت بعيدة كل البعد عن أختراق مجموع الريف الفرنسي فلم تفلح في تغيير العلاقات الاجتماعية فيه . وهكذا فانهيار البنى الاجتماعية الموجودة لم يحدث الا في باريس . والذي كان احد اسباب انتفاضة الكومونة كان أيضا السبب العميق في سقوطها : أصبحت باريس رأسا كبيرا لجسم لم يدد جسمها ، لانه مرتبط بالوجهـاء الريفيين في حين يسيطر المال ورأس المال على المدينة .

ولقد كان تييرس رئيس حكومة فرساي تجسيدا للمكيافيلية في المجتمع الرأسمالي مسخرا لها كل وسائل الدولة البرجوازية بينما كانت الكومونة نفيا للدولة والسياسةولكنها كانت بحاجة الى عبقرية سياسية !

النشر والتوزيع في الاقطار العربية

دار دمشق
بيروت : شارع سورية بناية صمدي وصالحة
دمشق : شارع بور سعيد هاتف ١١٠٤٨

السعر